جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء

إعداد

لطفي عبد الرحمن مصطفى محاجنه

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء

إعداد

لطفي عبد الرحمن مصطفى محاجنه

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ:8 / 5 /2012م وأجيزت

أعضاء اللجنة المناقشة		التوقيع
- د. حسين النقيب	(مشرفاً ورئيساً)	.....
- د. موسى البسيط	(ممتحناً خارجياً)	.....
- د. عودة عبد الله	(ممتحناً داخلياً)	.....

الإهداء

إلى من أنار سويداء قلبي، صاحب القلب الحنون، ومثلي الأعلى في هذه الدنيا، إلى منترك بصامته على حياتي وصورته ما تزال ماثلة أمامي، إلى أبي الغالي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.

إلى أمي الحنونة، صاحبة اللسان الذاكر التى علمتني معنى الصبر والحنان، الشعلة التي أنارت طريقي، وكان لسانها لا يفتر عن الدعاء والرضا، وكانت سببا مباشرا في اختياري للموضوع، ولكن مشيئة الله اقتضت أن تغادر هذه الدنيا قبل إتمامي الرسالة رحمها الله وأسكنها الفردوس الأعلى.

إلى زوجتي الغالية، التي دائما كانت حريصة على رعايتي، من غير ملل ولا ضجر، وهيأت لي الظروف المناسبة، وحرصت دائما على تسهيل الصعاب وتذليلها.

إلى أبنائي وبناتي، مهجة القلب، ونور الفؤاد، علاء، بهاء، وضياء، وهبة، ومريم.

إلى إخوتي وأخواتي ، الذين كانوا سندا لي في إكمال مسيرتي، الشيخ هاشم عبد الرحمن، خالد ، أحمد، مصطفى، زيدان، محمد ، حسن، محمود، توفيق، حفظهم الله جميعا، ووفقهم لما يحب ويرضى.

إلى كل من كان سندا لي في مسيرتي، أقدم هذا الجهد حبا ووفاء.

الباحث

شكر وتقدير

قال الله تعالى: قال تعالى:{**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**}(الرعد:7)، فالحمد لله على عطائه، ونعمائه، وكثير فضله، بما فضّل علي من نعمه التي لا تحصى، وبما يسّر لي من خير وعطاء كثير.

وبعد،فإني أتقدم بشكري لذوي الفضل اعترافا، وأخص بالشكر والامتنان من ذلل لي الطريق فكان الجسر الذي أعبر من خلاله وفتح أمامي آفاقا واسعة، أستاذي ومشرفي وقرة العين، صاحب الصدر الرحب، المليء بالعطف والرحمة، فضيلة الدكتور حسين عبد الحميد النقيب حفظه الله، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يبخل عليّ بالنصح والتوجيه من أول يوم عرفته فيه، فملك قلبي من أول مرة رأيته فيها، فكان الأستاذ، والأب، والأخ، والصديق، فجزاه الله عني كل خير، ونفع به الإسلام والمسلمين.

وأتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل، صاحب الخلق الرفيع، والصدر الرحب، والملقى البشوش، الدكتور عودة عبد الله، الذي لمست فيه الصدق والحنان، الذي غرس في قلبي حب الدراسة، وأفدت منه الدقة العلمية، سائلا المولى عز وجل أن يجعله ذخرا للإسلام والمسلمين .

وأتقدم بالشكر إلى أخي الحبيب الأستاذ عامر جود الله الذي لم يبخل علي في نصحه فكان خير معين وناصح، وأخي الذي لمست فيه صدق الأخوة بدر محمد شفيق، اللذين كانا خير عون لي وسند.

وأتقدم بالشكر إلى زملاء الدراسة: الأخ الفاضل ساهر نافذ الأسمر، والأخ الفاضل خليل إبراهيم الحاج، والأخ الفاضل عصام شحاده، والأخ محمد فريحات جزاهم الله عنا كل الخير.

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة في جامعة النجاح، إلى كل من علمني حرفا ،أو بذل جهدا، أو قدّم نصحا، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى مدير مدرستي الدكتور سمير محاميد، ونائبه الأستاذ خالد وليد على مساندتهم لي وتفهم ظروفي فكانا خير معين.

ولا يفوتني في هذا المقام أن اشكر أهل بيتي، زوجتي، وأبنائي، وإخوتي، وأخواتي، لهم مني جزيل الشكر والتقدير، وأسأله جل وعلا أن يجمعنا وإياهم في جنان النعيم .

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان :

المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء

أقر بذلك بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work , and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name

اسم الطالب : :

Signature :

التوقيع :

Date :

التاريخ :

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ت
الشكر	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	ر
مقدمة	1
الفصل الأول مقدمات مهمة تتعلق بسورة الإسراء	10
المبحث الأول : التعريف بسورة الإسراء	11
المطلب الأول : مكية السورة	11
المطلب الثاني : اسم السورة وسبب التسمية	13
المطلب الثالث : فضلها	15
المبحث الثاني : ما تضمنته سورة الإسراء	17
المطلب الأول : الموضوعات التي تناولتها السورة	17
المطلب الثاني : مقصود السورة	20
المبحث الثالث : ارتباطها بسورتي النحل والكهف	22
المطلب الأول : ارتباطها بسورة النحل	22

المطلب الثاني : ارتباطها بسورة الكهف	26
الفصل الثاني : المضامين الاجتماعية المتعلقة بالأقارب والمحتاجين	28
تمهيد	29
المبحث الأول : البر بالوالدين	31
المطلب الأول : تعريف البر	31
المطلب الثاني : الوصايا المتعلقة بالوالدين	32
المطلب الثالث : بيان فضل بر الوالدين	43
المطلب الرابع : عقوق الوالدين مظاهره، أسبابه والآثار المترتبة عليه وعلاجه	46
المبحث الثاني : الوصية بالأقارب وصلة الرحم	54
المطلب الأول : تعريف القرابة	54
المطلب الثاني : أهمية ذوي القربى	54
المطلب الثالث : فضل صلة الأقارب والآثار المترتبة عليه	56
المبحث الثالث : مراعاة حق المسكين وابن السبيل	61
المطلب الأول : التعريف بالفقير والمسكين وابن السبيل	61
المطلب الثاني : خطر الفقر	62
المطلب الثالث :كيف عالجت سورة الإسراء مشكلة الفقر	67
الفصل الثالث : المضامين الاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان	69

المبحث الأول : تحريم القتل	70
المطلب الأول : تكريم الإنسان	70
المطلب الثاني : موقف القرآن من جريمة القتل	71
المطلب الثالث : حفظ النفس وتحريم قتلها في الشريعة	75
المطلب الرابع : كيف عالجت سورة الإسراء جريمة القتل	76
المبحث الثاني : تحريم قتل الأولاد	78
المطلب الأول : نعمة الأولاد	78
المطلب الثاني : تحريم قتل الأولاد خشية الإملاق	79
المطلب الثالث : سر الاختلاف بين آيتي الأنعام والإسراء	83
المطلب الرابع : كيف عالجت سورة الإسراء هذه الجريمة	84
الفصل الرابع : المضامين الاجتماعية المتعلقة بالآفات التي تهدد المجتمع	86
المبحث الأول : آفة الإسراف والتبذير	87
المطلب الأول : تعريف الإسراف والتبذير	87
المطلب الثاني : أسباب الإسراف والتبذير	88
المطلب الثالث : مظاهر الإسراف والتبذير	92
المطلب الرابع : الآثار المترتبة على الإسراف والتبذير	94
المطلب الخامس: معالجة ظاهرة الإسراف والتبذير	95

المبحث الثاني : آفة البخل	100
المطلب الأول : تعريف البخل	100
المطلب الثاني : ذم البخل من القرآن والسنة	100
المطلب الثالث : آثار البخل	103
المطلب الرابع : بيان علاج البخل	103
المبحث الثالث : آفة الزنا	107
المطلب الأول : تعريف الزنا	107
المطلب الثاني : أسباب الزنا ودوافعه	107
المطلب الثالث : كيف عالجت سورة الإسراء آفة الزنا	112
المبحث الرابع: حرمة مال اليتيم والنهي عن قرب ماله	124
المطلب الأول : الاهتمام بأموال اليتيم	124
المطلب الثاني : وعيد القرآن لآكل مال اليتيم	126
المبحث الخامس: آفة خيانة العهد	127
المطلب الأول: تعريف العهد	127
المطلب الثاني: أهمية العهد	127
المبحث السادس : آفة عدم الوفاء بالكيل والميزان	131
المطلب الاول : عرض سورة الإسراء لآية الكيل والميزان	131
المطلب الثاني :عناية سورة الإسراء بالكيل والميزان	133

المبحث السابع : آفة الكبر	136
المطلب الأول : أنواع الكبر	136
المطلب الثاني : الآثار المترتبة على الكبر	136
المطلب الثالث : علاج الكبر	138
المطلب : الرابع	142
الخاتمة	149
فهرس الآيات	153
فهرس الأحاديث	165
فهرس التراجم	165
قائمة المصادر والمراجع	169
Abstract	b

المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء

إعداد

لطفي عبد الرحمن مصطفى محاجنه

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

الملخص

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرفِ المرسلين، وسيد العالمين سيدِ الخلق وحبيبِ الحقِّ سيِّدنا محمد، وعلى آلهِ وصحابتِهِ أجمعين، وعلى التابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وبعد.

فإنَّه لا يخفى على أحدٍ أنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ اللهِ تعالى، وهو منهجُ حياةٍ زكّى به نبيَّهُ، فزكّى به جيلاً فريدًا من نوعِه، فأخرجهم منَ الظلماتِ إلى النورِ، وذلكَ لاهتمامِهِ بالمضامينِ التربويَّةِ والاجتماعيَّةِ.

إنَّ منَ السُّورِ التي ركَّزَت على المضامينِ الاجتماعيَّةِ والتربويَّةِ سورةَ الإسراءِ. فقدْ تضمَّنَتِ السُّورةُ أسُسًا ومبادئَ وقواعدَ يجدرُ بكُلِّ مسلمٍ أنْ يتأملَها ويتدبرَها لما فيها منَ الخيرِ في حياةِ الفردِ المسلمِ الخاصَّةِ والعامَّةِ؛ ومنْ هنا حملَت هذه الدراسةُ عنوانَ **"المضامين الاجتماعيَّة في سورة الإسراء".**

إنَّ منْ أسمى أهداف هذه الرسالةِ الوقوفَ على جميعِ هذهِ المضامينِ الاجتماعيَّةِ التربويَّةِ الرَّبانيَّةِ التي بيَّنتْها سورةُ الإسراءِ بيانًا محكمًا بديعًا؛ ولا شكَّ أنَّ هذهِ المضامينَ لها صلةٌ مباشرةٌ بواقِعِنا المعاصرِ، تعالج آفاتِهِ وتنهض بالأمة لتكونَ أمَّةً آمِنَةً، منهجُها كتابُ اللهِ وحبلُه المتين، وسنةُ نبيهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم.

وقدْ قُسِّمَتِ الدراسةُ إلى أربعةِ فصولٍ:

تحدَّثَ الفصلُ الأوَّلُ عنِ التعريفِ بسورةِ الإسراءِ، وخصائصِها، وموضوعاتِها، وارتباطِها بما قبلَها وما بعدَها منْ سورِ القرآنِ كمدخلٍ لهذه الدراسةِ.

وأمَّا الفصولُ الثلاثةُ الأخرى، فقد عرضتُ فيها للمضامينِ الاجتماعيَّةِ في السُّورةِ ،حيثُ قسَّمْتُ هذه المضامين إلى ثلاثِ مجموعاتٍ مترابطةٍ: تكلَّمْتُ في الفصل الثاني عنِ المضامينِ الاجتماعيَّةِ المتعلقةِ بالأقاربِ والمحتاجينَ فبيَّنْتُ بالتحليلِ والتوضيحِ حقوق الأقاربِ على أقاربِهم، وخاصةً حقوقَ الآباء على الأبناءِ، وحقوقَ المساكينِ وابنِ السبيلِ على المجتمعِ وعلى ضرورةِ مساهمةِ المجتمعِ في حلِّ مشاكِلِهم، وأثرَ هذا التضامنِ على لُحمةِ المجتمعِ وتماسكِهِ.

وأمَّا الفصلُ الثالثُ فتحدَّثْتُ فيهِ عنِ المضامينِ الاجتماعيَّةِ المتعلقةِ بحقوق الإنسانِ، كحقِّ الأمانِ في الحياةِ، وبيانِ تكريمهِ عندَ اللهِ تعالى، حيث بيّنْتُ كيفَ عرضَ القرآنُ النَّهْيَ عنْ جريمةِ القتلِ، وحرمةِ النَّفْسِ البشريَّةِ التي حرَّمَ اللهُ، كما بيّنْتُ تشديدَ القرآنِ ونهيَهُ عنْ قتلِ الأولادِ منْ خشيةِ الفقرِ، فربطْتُ هذا الموضوعَ بواقعِنا المعاصرِ موضِّحًا علاجَ القرآنِ لهذا الأمرِ الخطيرِ.

وأما الفصلُ الرابعُ والأخيرُ وهوَ منْ أهمِّ فصولِ الرسالةِ فتحدثْتُ فيهِ عنِ المضامينِ الاجتماعيَّةِ المتعلقةِ بالآفاتِ التي تهددُ استقرارَ المجتمعِ حيثُ بيّنْتُ في هذا الفصل سبعَ آفاتٍ تعرضَتْ لها سورةُ الإسراءِ وهي: الإسرافُ والتبذيرُ، والبخلُ، والزِّنا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، وخيانةُ العهدِ، وعدمُ الوفاءِ بالكيلِ والميزانِ، والكِبْرُ؛ حيثُ ناقشْتُ منْ خلالِها أقوالَ المفسرينَ وتوجيهاتِهم لها، رابطًا هذه الآفاتِ بواقعِنا المعاصرِ، مركِّزًا على العلاج من خلال سورة الإسراء.

كانَ منهجي في هذه الدراسةِ في عرضِ هذه المضامين منهجًا استقرائيًّا، تحليليًّا نقديًّا، ومن أهمِّ النتائجِ التي توصلْتُ إليها ما يلي:

1. إنَّ توجيهاتِ سورةِ الإسراءِ تسعى لبناءِ الإنسانِ والمجتمعِ الصَّالحِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.
2. إنَّ المضامينَ الاجتماعيَّةَ في سورةِ الإسراءِ وحدَها كافيةٌ لإصلاحِ حالِ المجتمعاتِ، وكفيلةٌ ببعثِ الأمنِ والأمانِ في سائرِ حياتِهم.

3. إنَّ المعاصي والذنوبَ تعمي بصيرة القلب فلا يدركُ الحقَّ كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته، وبالتالي يقع في آفاتٍ تهددُ استقرارَ المجتمعِ.
4. إنَّ أصلَ الأخلاقِ المذمومةِ كلِّها الكبرُ والاستعلاءُ، وهيَ صفةُ عدوِّ اللهِ إبليس حيثُ استكبرَ وامتنعَ منَ الانقيادِ لأمرِ ربِّهِ.

وأخيرًا، إنَّ منْ أهمِّ الأمورِ التي على المجتمعات الإسلامية الاهتمامَ بها استخدامُ طرق الوقايةِ التي أشارَتْ إليها سورةُ الإسراءِ لتفادي الوقوع في الآفاتِ الاجتماعيَّةِ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد، فالقرآن الكريم منهج حياة زكَّى به اللهُ نبيّه وأخرج قوما، بل أقواما من الظلمات إلى النور.

ومعلوم أن الجانب التربويّ في القرآن الكريم وما فيه من مضامين اجتماعية يتضمن أُسسًا ومبادئ وقواعد على كل مسلم أن يتأملها ويتدبرها لما فيها من الكنوز التربوية العظيمة، فهو لم يدع جانبًا تربويًا إلا ودخله من أوسع أبوابه، ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان: "المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء" للوقوف على جميع هذه المضامين الاجتماعية التربوية الربانية التي بينتها سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا

يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ (الإسراء:23-37) ولا شك في أن هذه المضامين لها صلة مباشرة بواقعنا الاجتماعي المعاصر تعالج آفاته، وتنهض بالأمة لتكون أمة راقية آمنة منهجها كتاب الله والحبل المتين سنة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم. وما كان في هذه الدراسة من صواب وخير، فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ

أو زلل، فمن نفسي والشيطان، ونسأل الله أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا، وأن لا يحرمنا الأجر، وأستغفر الله.

أهمية الدراسة:

تتجلّى أهمية هذه الدراسة في اهتمام القرآن الكريم بموضوعها، وارتباطها بواقع الأمة اليوم، وقد نزل القرآن ليرسم لهذه الأمة الطريق القويم، وجاءت هذه الدراسة لتبيِّن الأهمية التربوية لما حوته آيات كريمة من سورة الإسراء، فقد حوت هذه الآيات التوجيهات التربوية العظيمة لصلاح الأمم على مر الأزمان من بر الوالدين والإحسان إليهما، والحذر من عقوقهما، والتذلل لهما رحمة بهما، والعمل على برِّ سائر الأقارب، وإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل، والمحافظة على المال وعدم الإسراف في إنفاقه، والتحذير من الزنا، وقتل النفس، والحفاظ على مال اليتيم وذم الكِبْر.

أسباب اختيار الدراسة.

وقع اختياري على هذه الدراسة لأمور عدة، منها :

1. عدم وجود دراسة تطرقت إلى هذه المضامين في هذه السورة، (حسب علمي).

2. انحسار القِيم العالية في المجتمعات الإسلاميّة من البر والإحسان والتواصل، وانتشار العقوق والقتل والزنا والفواحش وأكل أموال اليتامى ظلماً .

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء، وإلى تحقيق أهداف أخرى منها:

1. التعرف على ملامح سورة الإسراء.

2 . التعرف على النتائج المحمودة عند تطبيق هذه المضامين وعلى العواقب الوخيمة التي تنتظر من يبتعد عنها.

3. لفت الأنظار إلى المضامين الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها على المجتمع.

4. الربط بين المضامين الاجتماعية في هذه السورة ومثيلها من المضامين في السور الاخرى.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذا الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1.ما أهمية دراسة المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء؟

2. كيف عالج الإسلام أهم الآفات الاجتماعية التي تهدد المجتمع؟

3.كيف عرض القرآن مسألة العلاقات مع الوالدين والأقارب والمحتاجين؟

4. ما علاقة هذه المضامين الاجتماعية بتكريم الإنسان؟

فرضيات الدراسة:

1. بيان القرآن الكريم للمضامين الاجتماعية، وأنها مظهر من مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان.

2. ضعف الإيمان ينتج عنه أمراض خطيرة من أهمها الأمراض الاجتماعية.

3. سبق القرآن للنظم الوضعية في تقريره لحقوق الإنسان.

4. أن علاج القرآن لآفات المجتمع هو العلاج الأنجع.

5. لم يكتف القرآن بعرض آفات المجتمع بل قدم الحلول المناسبة لها.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثا قد جمع المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء بشكل مستقل، وإنما وجدت هذه المضامين مبثوثة بين صفحات بعض الكتب، وقد وقفت على رسائل علمية مسّت جوانب من الموضوع وذلك على النحو الآتي:

الدراسة الأولى : دراسة الباحث عيسى بن محمد يحيى بن عبيد الله الأنصاري، وعنوانها: " المضامين التربوية المستنبطة من نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف وتطبيقاتها التربوية "، وهي بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة.[1]

وقد هدف الباحث في هذه الرسالة إلى:

1. بيان المضامين التربوية الدينية في آيات (النداء لبني آدم).

2. إيضاح المضامين التربوية الأخلاقية في آيات (النداء لبني آدم).

3. التعرف على المضامين الاجتماعية في آيات (النداء لبني آدم).

الدراسة الثانية: دراسة الباحث حسن بن محمد علي الزهراني، وعنوانها: "المبادئ المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم"، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية بجامعة أم القرى، قسم التربية الإسلامية والمقارنة[2]، وهدف الباحث في هذه الرسالة إلى:

---

[1] - عيسى بن محمد يحيى بن عبيد الله الأنصاري، وعنوانها: " **المضامين التربوية المستنبطة من نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف وتطبيقاتها التربوية** ". وهي بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة.

[2] -الزهراني:حسن بن محمد علي، وعنوانها :" **المبادئ المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم** ". رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية بجامعة أم القرى، قسم تربية إسلامية ومقارنة،1417هـ

1. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب العقدي.

2. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب التعبدي.

3. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي.

4. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي.

أما الكتب فهي:

1. " الكبائر وتبين المحارم" للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحدث فيه عن عقوق الوالدين وأكل مال اليتيم والزنا[1].

2. "الوصايا العشر" لمحمود شلتوت، تحدث فيه عن الوصايا العشر في سورة الأنعام[2].

3. "البر والصلة" لأبي الفرج ابن الجوزي، تحدث فيه عن بر الوالدين وصلة الرحم[3].

4. "التشريع الجنائي" لعبد القادر عودة، تحدث فيه عن القتل، تعريفه وآفاته، وعن الزنا، تعريفه وعدد شهوده[4].

5."غذاء الألباب لشرح المنظومة" لمحمد السفاريني الحنبلي، تحدث فيه عن قطع الرحم وبيان ذوي الرحم الذين يجب صلتهم وتقديم بر الأم على بر الأب، وبر الرجل أبويه بعد وفاتهما[5].

---

[1] - الذهبي، تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت 748هـ: **الكبائر**. بيروت: دار الندوة الجديدة.

[2] - شلتوت، محمود: **الوصايا العشر**. ط5. (1404 هـ - 1984 م). بيروت: دار الشروق.

[3] - ابن الجوزي، جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن ت 597 هـ . **البر و الصلة.** تحقيق عادل عبد الودود وعلي معوض. ط1. مؤسسة الكتب الثقافية. (1993 م).

[4] - عودة، عبد القادر، **التشريع الجنائي مقارنا بالقانون الوضعي**. ج2. ط14. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1997م).

[5] -السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي ت: 1188هـ: **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب.** 2مج . ط2. مصر: مؤسسة قرطبة. (1414هـ).

6. "الزواجر عن اقتراف الكبائر" لأبي العباس محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي، تحدث فيه عن كبيرة قطع الرحم، وقتل المسلم، والإعانة على القتل المحرم، وعن بر الوالدين، وعن كبيرة الزنا[1].

7. "أدب الدنيا والدين" لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحدث فيه عن مجانبة الكِبْر والإعجاب وأسبابهما[2].

8. "مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام" للدكتور يوسف القرضاوي، تحدث فيه عن الفقراء والمساكين وحظهم من الزكاة والنفقة على الأقارب[3].

منهجية الدراسة:

منهجي في هذه الدراسة كما يلي:

1. المهنج الاستقرائي التحليلي: وذلك عن طريق استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء.

2. جمع المادة العلمية التي لها صلة بالموضوع من كتب التفاسير القديمة والحديثة ومن كتب الأخلاق واللغة.

3. الوقوف على معاني الآيات التي تضمنت المضامين و ربطها بالآيات التي لها علاقة مباشرة بها.

4. استنباط التوجيهات والدروس من الآيات القرآنية مع ربطها بالواقع الحالي للأمة الإسلامية.

---

[1] - الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر ت 974 هـ: **الزواجر عن اقتراف الكبائر**. ويليه: 1 - كف الرعاع عن محرمات اللهو و السماع. 2 - الإعلام بقواطع الإسلام. بيروت: د.ت، د.ط. دار المعرفة.

[2] -الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت 450هـ: **أدب الدنيا والدين**. دار مكتبة الحياة. د.ط. (1986م).

[3] - القرضاوي، يوسف : **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام** . ط11. بيروت : دار المعارف .د.ط.

5. ذكر الأحاديث الصحيحة التي لها علاقة مباشرة بالآيات التي تناولت موضوع المضامين الاجتماعية.

6. توثيق كل ما هو بحاجة إلى توثيق توثيقا علميا كاملا عند أول ورود للمرجع، أما إذا تكرر النقل منه فأكتفي بذكر المؤلف والجزء والصفحة.

خطة البحث التفصيلية:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة، و أربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: مقدمات مهمة تتعلق بسورة الإسراء وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بسورة الإسراء

المبحث الثاني: ما تضمنته سورة الإسراء

المبحث الثالث: ارتباطها بسورتي النحل والكهف

الفصل الثاني: المضامين الاجتماعية المتعلقة بالأقارب والمحتاجين

المبحث الأول: البر بالوالدين

المطلب الأول: الوصية بالأقارب، وصلة الرحم

المبحث الثالث: مراعاة حق المسكين، وابن السبيل

الفصل الثالث: المضامين الاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان

المبحث الأول: تحريم القتل

المبحث الثاني: تحريم قتل الأولاد

الفصل الرابع: المضامين الاجتماعية المتعلقة بالآفات التي تهدد استقرار المجتمع

المبحث الأول: آفة الإسراف و التبذير

المبحث الثاني: آفة البخل

المبحث الثالث: آفة الزنا

المبحث الرابع: حرمة مال اليتيم والنهي عن قرب ماله

المبحث الخامس: آفة خيانة العهد

المبحث السادس: آفة عدم الوفاء بالكيل و الميزان

المبحث السابع: آفة الكبر

هذا ما وفقني الله إليه، فإن وفقت فبفضل الله وحده، وإن كان غير ذلك، فمن نفسي والشيطان، وقلة حيلتي، سائلا المولى جل في علاه أن يغفر لي.

وها أنا أضع جهدي بين يدي أساتذتي الأفاضل حفظهم الله- ليبينوا الخطأ والزلل، سائلا المولى عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الفصل الأول

مقدمات مهمة تتعلق بسورة الإسراء

المبحث الأول: التعريف بسورة الإسراء

المبحث الثاني: ما تضمنته سورة الإسراء

المبحث الثالث: ارتباطها بسورتي النحل والكهف

الفصل الأول

مقدمات مهمة تتعلق بسورة الإسراء

نزلت سورة الإسراء على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قُبيل هجرته إلى المدينة. وذلك بعد وقوع معجزة الإسراء،وبعد سنوات عديدة من الدعوة التي واجه بها النبي صلى الله عليه وسلم سنوات شداد عصيبة من التنكيل والتعذيب، وفقدان أعز الناس على قلبه؛ إنها السيدة خديجة، وعمه أبو طالب، ففي هذه الفترة اشتد الخناق على الرسول صلى الله عليه وسلم وضاقت به الدنيا؛ فجاءت معجزة الإسراء لتصبَّر النبي وتواسيه على كل ما حصل معه، ومقابل هذا الضيق تفتحت أمامه أبواب السماء، واستقبله أهل السماء، بعد أن صدَّه أهل الأرض وأغلقوا الأبواب دونه، فكرَّمه الله أعظم تكريم، كل ذلك بعد سنوات من انطلاق هذه الدعوة في مكة، فأنزل الله سورة الإسراء، ولا بدّ من مقدمات تعرِّف القارئ بسورة الإسراء، وما تضمنته من أمور مهمة، وسأذكرها في مباحث ثلاثة:

المبحث الأول

التعريف بسورة الإسراء

المطلب الأول: مكية السورة

قال الثعلبي:"سورة الإسراء مكية وَهِي مائة وَإِحْدَى عشرَة آيَة"[1] وقال الفيروز آبادي:" مكية بالاتفاق"[2] وقال ابن عطية:"هذه السورة مكية إلا ثلاث آيات ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (الإسراء:73) وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الإسراء:76) وقوله تعالى﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء:80)"[3].

وقال ابن الجوزي:"هي مكيّة في قول الجماعة إلا أنّ بعضهم يقول: فيها مدني، فرُوي عن ابن عباس أنه قال: هي مكية إلا ثلاث آيات: من قوله تعالى:{ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ } إلى قوله: { نَّصِيرًا }(الإسراء :73 -75) وهذا قول قتادة[4]، وقال مقاتل[5]: فيها من المدني: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ (الإسراء:80) وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾

---

[1] - الثعلبي، أحمد بن محمد ت427هـ : **الكشف والبيان عن تفسير القرآن.** 10مج. تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: لبنان ، دار إحياء التراث العربي.(2002 م) .(54/6) بتصرف.

[2] -الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت817هـ: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** 6مج. تحقيق محمد علي النجار"القاهرة" لجنة إحياء التراث الإسلامي، (288/1).

[3] -ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ت: 542هـ: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية (1422 هـ). (434/3) بتصرف.

[4] - قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ، وكان يكنى أبا الخطاب. وكان ثقة مأمونا حجة في الحديث. وكان يقول بشيء من القدر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ت 230هـ: **الطبقات الكبرى**. 8مج. تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1410 هـ - 1990 م) (171/7).

[5] -مقاتل بن سليمان البلخي ، صاحب التفسير. روى عن الضحاك بن مزاحم وعطاء. وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه. ابن سعد، **الطبقات الكبرى** (263/7).

(الإسراء :107) وقوله: { **إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**} (الإسراء :60) وقوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ (الإسراء 73) وقوله﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ (الإسراء:76) وقوله ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ ﴾والتي تليها (الإسراء :74 75)"[1].

وقال الدكتور دروزة: "وقد رُوي أنّ الآيات (26 و 32 و 33 و 57 و 73 -80) مدنيات والروايات ليست وثيقة السند من جهة، وسياق الآيات ومضامينها وتوازنها وانسجامها مع ما سبقها ولحق بها، من جهة أخرى، مما يسوغ الشك في الرواية ويرجّح مكيّة الآيات"[2].

وسورة الإسراء من أواخر ما نزل من السّور في مكّة، وقد تميّزت آياتها بالطول النسبيّ، وبسط الفكرة، والدعوة إلى التحلّي بالآداب ومكارم الأخلاق، واشتملت على خصائص السورة المكّية[3] ومن ناحية أخرى ظهرت فيها صفات من خصائص السورة المدنية لأنها من أواخر ما نزل في مكّة فهي ممهّدة للعهد المدنيّ، أو هي ممّا يشبه المدنيّ، وهو مكّي[4].

قال ابن عاشور:"إن منشأ هذه الأقوال أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها يقتضي أنّ تلك الآيات لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة، فغلب على ظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآيات مدنية، ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكيّة عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ **إلى قوله**﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء :23_38)"[5].

---

[1] - ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 597هـــــ: **زاد المسير في علـم التفسـير** .ط1. المكتب الإسلامي. (1403هـــ -1983م). (7/3).

[2] دروزة، محمد عزت: **التفسير الحديث**. القاهرة : دار إحياء الكتب العربية. (1383هـــ).(351/3).

[3] - لمعرفة خصائص المكي والمدني : انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم ت 1367هـ: **مناهل العرفان في علوم القرآن**. 2مج. ط3. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. (202/1).

[4] - شحاته، عبد الله محمود: **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1976م) (191).

[5] - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ت 1393هـ: **التحرير والتنوير**. 30مج. تونس: الدار الدار التونسية للنشر. د.ط. (1984 هـ).(6/15)

قلت: ويردُّ على هذا بأنه ليس فيها شيء من التشريعات التي لا تقوم إلا بوجود دولة، فكلها توجيهات للارتقاء بالفرد والمجتمع لكن دون الحاجة إلى سلطة حاكمة وهو ما كان في المدينة، لأن الارتقاء بالفرد والمجتمع هو الطريق الأقوم عند اختلاط المفاهيم عند الفرد والمجتمع فكان القرآن هو الهادي والقويم والمبين والمرشد والدال على الصواب فنلاحظ أن الآيات جاءت آية بعد آية متنقلة لتبيِّن طبيعة الإنسان ساعية لمعالجة خصائصه، فهذا يتناسب وكون هذه السورة بخصائصها سورة مكيّة. فالذي أميل إليه أن سورة الإسراء مكية، ولم يرد أي دليل صحيح على ما استثنوه من الآيات المدنية.

المطلب الثاني: اسم السورة وسبب تسميتها

قال ابن عاشور:"ولهذه السّورة اسمان: سورة سبحان لافتتاحها بها، وسورة بني إسرائيل لقوله فيها: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:4)[1]. قال الآلوسي في تفسيره: " وتسمى سورة بني إسرائيل وتسمى الإسراء وسبحان أيضا"[2]. وسُميت في المصاحف سورة الإسراء؛ إذ قد ذكر في أولها قصة الإسراء بالنبي.[3] وتسمى أيضا سورة الأقصى[4].

قلت: هذه الأسماء المتعددة لسورة الإسراء؛ إنّما تبيّن الموضوعات المهمة التي حوتها، لكن استقرّ الأمر على تسميتها بسورة الإسراء.

---

[1] - الفيروز آبادي ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** (288/1). انظر: دروزة : **التفسير الحديث** (351/3).

انظر: شحاته: **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن** (191).

[2] - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ت1270هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع.** 16مج**.** تحقيق علي عبد الباري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (141 هـ).(3/8).

[3] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (6/15) بتصرف.

[4] - انظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ت885هـ: **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور.** 3مج**.** تحقيق د.عبد السميع محمد أحمد حسن. ط1. الرياض: مكتبة المعارف. (1987م). (2/ 228) بتصرف.

وهنا يبرز سؤال له شأنه، إنّ حديث سورة الإسراء عن بني إسرائيل إنّما هو في بضع آيات وإنّ كثيرا من السور القرآنيّة كان الحديث فيها عن بني إسرائيل أكثر بكثير من سورة الإسراء كسورة البقرة وآل عمران ألم يكن حريًّا أن تسمى تلك السورة بسورة بني إسرائيل بدلا من سورة الإسراء يجيب الدكتور فضل عباس على ذلك فيقول: " إن السور التي تحدثت عن بني إسرائيل مطولا كان الحديث فيها عن بني

إسرائيل في الزمن الماضي من حيث تاريخهم ونشأتهم، لكن سورة الإسراء لم تتحدث عن شيء من هذا بل كان حديثها فيما يخص هذه الأمة فالشيء الذي يجب أن يقف عنده المسلمون الصلة بين هذين الاسمين الإسراء وبني إسرائيل"[1].

قلت: أولا: إنّ السور التي تحدثت عن بني إسرائيل لم تتحدث عن الإفسادين بتاتا، فتميزت سورة الإسراء بذكرهما في قوله تعالى: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:4).

ثانيا: إن للاسمين علاقة وصلة مباشرة، كون النبي أُسري به إلى هذه الأرض، كما بيّنت بداية السورة في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ﴾ الإسراء:1)، وهذا بحد ذاته يدل على شرف هذه الأرض، وكون هذه الأرض هي الأرض المقدسة[2] التي أمرهم الله بدخولها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:20-21). فالعلاقة بينهما والصلة؛ هي قدسيّة هذه الأرض المباركة والله أعلم.

---

[1] عباس، فضل : **الإسراء والمعراج دروس ونفحات**. ط1. الأردن: دار الفرقان 2001 (ص34).

[2] - وهذه الأرض هي أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت فتنتهي إلى (حماة) شمالا وإلى (غزة وحبرون) جنوبا. ابن عاشور: **التحرير والتنوير**(162/6).

المطلب الثالث: فضلها[1]

تضمنت سورة الإسراء أمورا جليلة وعظيمة من إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحادثة الإسراء، ومكانة المسجد الأقصى، وإثبات تفرد الله بالألوهية... وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها

من قديم ما أنزل، فقد روى البخاري **من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ:" إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ**[2] **وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**[3][4] ، وهنا لا بد من تساؤل، ما هو سبب ذكر هذه السور الثلاث دون غيرها؟

يقول ابن حجر في شرح الحديث: "مراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم"[5] قال العيني:" يريد تفضيل هذه السور لما

---

[1]- انتشر في الآونة الأخيرة كتب ونشرات تحتوي على أحاديث ضعيفة وموضوعة لفضائل بعض سور القرآن الكريم . لذا كان من الواجب تنبيه المسلمين على ما في هذه المطبوعات من أباطيل .. وإرشادهم لبعض الأحاديث الصحيحة التي حققها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: http://www.saaid.net/bahoth/29.htm فضائل سور القرآن الكريم كما حققها العلامة الألباني - رحمه الله.

[2] - إنهن من العتاق بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة: ابن حجر ، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** 13مج. بيروت: دار المعرفة. (1379) رقمه وكتب أبوابه ، محمد فؤاد عبد الباقي ،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (388/6).

[3] - يعنى أنهن من أول ما حفظه من القرآن واستفاده، و(التلاد) قديم ما يفيده الإنسان من المال وغيره: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف ت 449هـ: **شرح صحيح البخاري.** 10مج. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد. السعودية. (1423هـ - 2003م) (215/2).

[4] -البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي **: صحيح البخاري.** 9مج. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.ط1 دار طوق النجاة . (1422 هـ)، كتاب تفسير القرآن، باب ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، حديث رقم 4708 (82/6).

[5]- ابن حجر **: فتح الباري** (388/8).

يتضمن افتتاح كل منها بأمر غريب وقع في العالم خارقا للعادة، وهو الإسراء وقصة أصحاب الكهف وقصة مريم ونحوها"[1].

قلت: والحديث يدل على فضائل خاصة لهذه السورة، فإن هناك سورا أخرى تتكلم عن قصص الأنبياء والأُمم الأخرى، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء خاص في فضلها، وذكر هذه السور مجتمعة، إنما يدل على فضلها.

[1]- العيني : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ت855هـ: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري.** 25مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (23/20) بتصرف.

المبحث الثاني

ما تضمنته سورة الإسراء

المطلب الأول:أهم الموضوعات التي تناولتها السورة

إنَّ المتتبع لسور القرآن الكريم، يجد أنَّ لكل سورة أغراضاً وموضوعات قد تناولتها ، وهي المحور الأساس الذي بنيت عليه، وسورة الإسراء من السور العظيمة التي أُقيمت عليها أسس عظيمة في العقيدة والأحكام والمضامين الاجتماعية، ومن أبرز هذه الأسس ما ذكره ابن عاشور[1]:

1. إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وفضيلته وأن القرآن وحي من الله، له فضله كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:9).

2. ذكر فضيلة المسجد الأقصى، قوله تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ﴾ (الإسراء:1) حيث كان الإسراء إليه والبركة بكل أنواعها فيه وفيما حوله.

3. إثبات دلائل تفرد الله بالإلوهية والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيهما على إثبات الوحدانية.

4. التذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

5. إظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علمه الله للمسلمين من آداب ربهم سبحانه - ومعاملة بعضهم بعضا، والحكمة في سيرتهم وأقوالهم ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم.

---

[1] -ابن عاشور : **التحرير والتنوير** (7/15 -9) بتصرف.

6. الحث على إقامة الصلوات في أوقاتها، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ (الإسراء:78).

7. التحذير من وساوس الشيطان، وذكر عداوته لآدم وذريته. ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ الإسراء:53).

8. ذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك، وتهديد المشركين بأن الله يوشك أن ينصر الإسلام على باطلهم، وذكر ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين واستعانتهم باليهود، واقتراحهم الآيات، وتحميقهم في جهلهم بآية القرآن وأنه الحق.

وقد أضاف الزحيلي أغراضا منها[1]:

9 .أوضحت السورة سبب عدم إنزال الأدلة الحسيّة الدّالة على صدق النبي صلّى اللّه عليه وسلم، ومدى تعنت المشركين في إنزال آيات اقترحوها من تفجير الأنهار، وجعل مكّة حدائق وبساتين، وإسقاط قطع من السماء، والإتيان بوفود الملائكة، وإيجاد بيت من ذهب، والصعود في السماء.

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ (الإسراء:90 -93).

---

[1] - الزحيلي ،وهبه بن مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.** 30مج. بيروت ،دمشق: دار الفكر المعاصر. (1918هـ). (3/15) بتصرف.

10. أنبأت السورة عن قدسية مهمة القرآن وسمو غاياته ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء :82).

11. بينت السورة عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ (الإسراء :88) مما يدل على إعجازه.

12.أعلنت السورة مبدأ تكريم الإنسان ورزقه من الطيبات: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء:70).

13. عددت السورة أنواعا جليلة من نعم اللّه على عباده، ثم لامت الإنسان على عدم الشكر.

14.عقدت السورة مقارنة بين من أراد العاجلة ومن أراد الباقية.﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإسراء:19).

15.ذكرت السورة أمر النبي صلّى اللّه عليه وسلم ودخوله المدينة، وخروجه من مكة.
﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (الإسراء:108).

16.أشارت إلى جزء من قصة موسى مع فرعون وبني إسرائيل﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (الإسراء:101).

17. بيَّنت حكمة نزول القرآن منجمّا، ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء:106).

18. ختمت السورة بتنزيه اللّه عن الشريك، و الولد، والناصر، والمعين، واتصاف اللّه بالأسماء الحسنى التي أرشدنا إلى الدعاء بها. ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾ (الإسراء:111).

نلاحظ مما سبق أنَّ سورة الإسراء تحدثت عن العقيدة، والعبادة، والمضامين الاجتماعية بكل جوانبها، كما جاءت الآيات في الحديث عن بني إسرائيل؛ لتبيَّن لأمة الإسلام أنه أنتِ أيتها الأمة الجديدة التي اختارك الله وجعلك أمة وسطا؛ بأنْ شرفك الله ومنحك الشهادة على الأمم؛ فإن عليك مسئولية أداء الرسالة البشرية، وهنا يأتي التحذير لهذه الأمة بألَّا تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل وأحفادهم من بعدهم، وإلا سيكون مصير هذه الأمة كسابقتها؛ إذا لم تلتزم بشرع الله وأوامره ونواهيه.

المطلب الثاني : مقصد السورة

يقول البقاعي: إنّ مقصود سورة الإسراء الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد، وأعلاها الإحسان[1]، وابتداء السورة بالتسبيح يدل على ذلك، فمن كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديراً بأن لا تعبدوا إلا إياه، وأن يعرض كل مخلوق عن كل ما سواه[2].

إنّ القرآن هو الدستور الذي ينبغي أن يكون في حياة الأمة؛ هذه الأمة التي اختارها الله لحمل الأمانة، الأمانة التي خانها بنو إسرائيل ولم يحافظوا عليها؛ أمانة التبليغ والتكليف كما قال تعالى في سورة الإسراء ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ (الإسراء:9) قرآن يهدي للتي هي أقوم، يهدي للكمال، للصواب ويبشر المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ

---

[1] - البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ت885هـــــ: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 8مج. تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـــــ- 1995م) (327/4) بتصرف.

[2] - البقاعي : **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**(230/2) بتصرف.

يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء:9) يعملون الصالحات؛ هذا الإصلاح المناقض للإفساد؛ هذه الصفة التي تميز أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن غيرها من الأمم.

قلت: ومقصد السورة الإقبال على الله وحده لأن بني إسرائيل قد فعلوا أمورا تبعدهم عن الله، فكانت هذه السورة نبراسا لهذه الأمة؛ أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتحذيرا لها من اقتفاء سلوك هؤلاء وأن عليهم مخالفة هؤلاء القوم وعدم اتباعهم ؛ لأن في ذلك الهلاك والبعد عن الله.

فابتدأت الآيات بذكر التوحيد مباشرة لبيان أهميتها، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: 23 -24). لارتباط الأمر كله بالعقيدة .

قال سيد قطب:" فهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك. أمر في صورة قضاء. فهو أمر حتمي حتمية القضاء. ولفظة (قَضى) تخلع على الأمر معنى التوكيد، إلى جانب القصر الذي يفيده النفي والاستثناء (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فتبدو في جو التعبير كله ظلال التوكيد والتشديد.
فإذا وضعت القاعدة، وأقيم الأساس، جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال"[1].

[1] - قطب، سيد، ت 1385هـ: **في ظلال القرآن.** ط17. بيروت: القاهرة دار الشروق. (1412هـ). (2221/4**).**

المبحث الثالث

ارتباطها بسورتيّ النحل والكهف

إنّ من إعجاز هذا القرآن وجود علاقة بين السور سابقتها ولاحقتها؛ وهذا التناسب بين السور يحثنا على التدبر والتفكر لأن القرآن الكريم يختلف في نظمه وعرضه عن أي كتاب، حيث يخلق لدى المتدبر آفاقا في البحث والتفكير وهذا التناسب والارتباط بين السور، يظهرها كحليه واحدة.

المطلب الأول: ارتباطها بسورة النحل

إنّ بين سورة النحل وسورة الإسراء تناسبا وارتباطا جليّا ، يبيِّن ترابط هذا القرآن العظيم يظهره وحدة متكاملة، من أوله إلى آخره. ولعل قائلا يقول: أنه لا علاقة تربطها بما سبقها من آيات سورة النحل، ولا يربطها علاقة بآيات سورة الإسراء نفسها ، ويُرد على مثل هذا القول:

بل وجه المناسبة بين الآية المشار إليها وبين ما سبقها ولحقها من آيات، ظاهر لمن تأمل فيه، وذلك من وجوه منها:

قال السيوطي في أسرار ترتيب القرآن:

" قد ظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل؛ أنه سبحانه لما قال في آخر النحل: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ (النحل: 124) فسر في سورة الإسراء شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة، وذكر عصيانهم وإفسادهم، وتخريب مسجدهم، ثم ذكر استفزازهم للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ (الإسراء:4). وإرادتهم إخراجه من المدينة، ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الإسراء:76)، ثم ذكر سؤالهم إياه عن الروح

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء:85). ثم ختم السورة بآيات موسى التسع[1]، وخطابه مع فرعون، وأخبر أن فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض؛ فأهلك" ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (الإسراء:101) "[2].

وذكر الزحيلي وجوها منها[3]:

1 - بعد أن أمر اللّه نبيه - صلّى اللّه عليه وسلم بالصبر على أذى المشركين في ختام سورة النحل بنسبته إلى الكذب والسحر والشعر قال تعالى﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (النحل :127) سلّاه هنا، وأبان شرفه وسمو منزلته عند ربه بالإسراء افتتح السورة بذكره تشريفا له، وتعظيما للمسجد الأقصى قال تعالى﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:1).

2 -. في سورة النحل بين الله تعالى أن القرآن العظيم من عنده، لا من عند بشر، في قوله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:102)، وفي سورة الإسراء ذكر الهدف الجوهري من ذلك

---

[1] - أحدها إزالة العقدة من لسانه و ثانيها: انقلاب العصا حية. وثالثها: تلقف الحية حبالهم و عصيهم. ورابعها: اليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. و شق البحر. : فخر الدين الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب خطيب الري ت 606هـ: **مفاتيح الغيب.** ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1420 هـ) (21/414-415) ، بتصرف.

[2] - السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت911هـ: **أسرار ترتيب القرآن.** دار الفضيلة للنشر والتوزيع. (ص103) بتصرف.

[3] - الزحيلي **: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** (15/1_2) بتصرف.

القرآن، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء:9).

3 في سورة النحل ذكر تعالى قواعد الاستفادة من المخلوقات الأرضية، وفي سورة الإسراء ذكر قواعد الحياة الاجتماعية من بر الأبوين، وإيتاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم من غير تقتير ولا إسراف ، وتحريم القتل والزنا وأكل مال اليتيم ، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط وإبطال التقليد من غير علم.

وأضاف المغامري قائلا[1]:

4. في ختام سورة النحل أثنى الله على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (النحل :120)، وفي مفتتح سورة الإسراء ذكر ما أكرم به أفضل أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾(الإسراء:1).

5. في آخر سورة النحل قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل :128) فذكر معية الإكرام، بينما في الإسراء ذكر إكرامه لسيد العالمين { سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ }.

6.في سورة النحل ذكر الله النعم التي أنعم بها على بني آدم، وفي الإسراء ذكر أجل النعم وهي التكريم والتفضيل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء:70).

---

[1] -المغامري ،أبو الفضل عبد الله محمد الصديق : **جواهر البيان في تناسب سور القرآن** . مكتبة القاهرة . د..ط1. (ص50-51). الألوسي : **روح المعاني** (3/8) بتصرف.

وأضاف عبد الكريم يونس الخطيب قائلا : لعلّ فيما حدّث به ختام سورة النّحل ما يكشف عن بعض حكمة الإسراء، ففي آخر سورة النحل : ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ (النحل:127) ، فناسب هذا الختام للسورة أن تجيء بعدها سورة الإسراء، وما كشف الله لنبيه في هذه الرحلة المباركة من جلال ملكوته، وما أراه من أسرار علمه وحكمته﴿ حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ (الإسراء:1)[1].

قلت: أولا: بيَّن الله في آخر سورة النحل في قوله تعالى﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾ (النحل:126)، ما حل بالصحابة من القتل والضيق ومن مكر الماكرين، وإن هذه الآية تجسد ما تمر به هذه الأرض المباركة وأهلها من التنكيل والتهديم والتضييق، فجاءت سورة الإسراء مباشرة حتى تبين شرف هذه الأرض﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ (الإسراء:1) وما لأهلها من الثواب والأجر على صبرهم كما صبر الصحابة من قبلهم والله أعلم.

ثانيا: قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ (النحل :128) فيه إشارة إلى أن النصر لن يكون ما لم يكن هناك اتقاء للفواحش والكبائر، وكأنّ آيات النحل مجملة جاء تفصيلها في سورة الإسراء فجاءت سورة الإسراء متحدثة عن المضامين الاجتماعية التي هي سبب في النصر والاطمئنان، ومتى فُقدت هذه المضامين كان ذلك سببا لفساد المجتمع وهلاكه، قال تعالى:﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾الإسراء:17) وهذا له علاقة بما يحل في في هذه الأرض إذ إن المجتمع الإسرائيلي

---

[1] -الخطيب ،عبد الكريم يونس: **التفسير القرآني للقرآن**. تحقق بعد 1390هـ. القاهرة: دار الفكر العربي. د.ط. (408/8). بتصرف.

يعاني من عدم التزامه بهذه المضامين ونرى هذا المجتمع تشيع فيه الفاحشة، وستكون عاقبته الهلاك، وهذا وعد الله قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾(الإسراء:104).

المطلب الثاني: ارتباطها بسورة الكهف

إنَّ سورة الكهف امتداد لسورة الإسراء، يقول البقاعي:" لمّا خُتمت سورة الإسراء بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك بُدئت سورة الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه - الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال، والتّنزه والجلال، فقال ملقنًا لعباده حمده، معلمًهم كيفية الثناء عليه، مفقهًهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات: {الحمد} أي الإحاطة بصفات الكمال {لله} أي المستحق لذلك لذاته"[1].

ويقول المراغي: إنَّ بين السورتين عدة مناسبات منها[2]:

أولا: "سورة الإسراء افتُتحت بالتسبيح، ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:1) والكهف بالتحميد، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ (الكهف:1) وهما مقترنان في سائر الكلام في نحو ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ ﴾ (الحجر:98) ونحو سبحان الله وبحمده.

---

[1] - البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (4/442).

[2] -انظر: المراغي ، أحمد بن مصطفى ت 1371هـــ: **تفسير المراغي**. 30مج. مصر: مكتبة مصطفى البابى الحلبـــي. ط. (1365هـــــ -1946م). (113/15) بتصرف.

ثانيا: ختام الإسراء بالحمد ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾ (الإسراء:111) وافتتاح الكهف الحمد. ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ (الكهف:1)

ثالثا: ذكر في السابقة قوله: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ (الإسراء:85) والخطاب فيها لليهود، وذكر هنا قصة موسى نبيّ بني إسرائيل مع الخضر -عليهما السلام- وهى تدل على علم الله الذي لا يُحصَى، ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ ﴾الكهف:65) فكانت كالدليل على ما تقدّم.

رابعا: جاء في السورة السابقة ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤ ﴾ (الإسراء:104) ثم فصّل ذلك هنا بقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ (الكهف:98) إلى قوله: ﴿ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴾ (الكهف:100)".

قلت: الظلم والفساد سبب لهلاك الأمم، فقد بيّنت سورة الإسراء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧ ﴾ (الإسراء16 - 17) فتناسب الأمر مع آيات سورة الكهف في قوله تعالى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾ (الكهف:59).وكلما زاد الفساد والظلم ؛ كان ذلك إذعان باقتراب أمر الله قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤ ﴾ (الإسراء:104) والله أعلم.

الفصل الثاني

المضامين الاجتماعية المتعلقة بالأقارب والمحتاجين

المبحث الأول: البر بالوالدين

المبحث الثاني: الوصية بالأقارب وصلة الرحم

المبحث الثالث: مراعاة حق المسكين وابن السبيل

تمهيد

تحدثت سورة الإسراء عن المضامين الاجتماعية، جاء في المعجم الوسيط" (الْمَضْمُون) المحتوى وَمِنْه مَضْمُون الْكتاب مَا فِي طيه ومضمون الْكَلَام فحواه وَمَا يفهم مِنْهُ"[1] فنقصد بالمضامين الاجتماعية؛ المبادئ والقواعد والمثل العليا المستمدة من النداء القرآني للمؤمنين، والتي أمر الله عباده بإتباعها من خلال فهمهم لدينهم فابتدأت السورة بالنهي عن عبادة غير الله لأن عبادته أصل الصلاح، ولا يمكن معالجة هذه المضامين الاجتماعية قبل إصلاح العقيدة لأن إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل فاقتضى الأمر البدء بالعقيدة ثم أولى هذه المضامين، وهو بر الوالدين .

إنَّ برَّ الوالدين من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله، وتظهر جلياً أهميتُه حين نرى اقترانه بتوحيد الله عز وجل وظهر عظم هذا الأمر وشأنه، في قوله تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: 23-24)، فالبر من تمام الإيمان والعبودية ولكنا نغفل عن العمل بما نعلم، وكثيرا ما يُغفل عن مواضع البر مع الانشغال في الأعمال الدنيوية، كالزيارة والسؤال عنهما؛ لذا وجب على الأبناء بر الآباء، لما للبر من فضل عظيم، وآثار مترتبة عليه في الدنيا، من الزيادة في الأجل والنماء في المال، وفي الآخرة كون البر الطريق الموصل الى الجنة، ففي بر الوالدين شكر المنعم، وأي نعمة أعظم من الوالدين، وفي عقوقهما إضاعة لحق المنعم، كون العاق قد خالف خالقه بما أوصاه به وأمره ﴿ وَقَضَىٰ

---

[1] - إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار : **المعجم الوسيط**. ت مجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة. د.ط. (545/1).

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء:23)، فهذا قضاء الله العاجل، والالتزام به فيه نجاة من قضائه الآجل.

يقول ابن الجوزي:" غير خاف على عاقل لزوم حق المنعم، ولا منعم بعد الحق سبحانه على العبد كالوالدين، فقد حملت الأم بحمله أثقالا كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها، وقدمته على نفسها في كل حال وقد ضم الوالد إلى تسببه في إيجاده ومحبته بعد وجوده وشفقته في تربيته الكسب له والإنفاق عليه، والعاقل يعرف حق المحسن ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أقبح صفاته، فإذا أضاف إلى جحد الحق ومقابلة المنعم بسوء الأدب، فإنما يدل هذا على خبث الطبع ولؤم الوضع وسوء المنقلب، وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما"[1].

[1] - ابن الجوزي : **البر والصلة** (39/1).

المبحث الأول

البر بالوالدين

المطلب الأول: تعريف البر

عرفه ابن فارس فقال: البر: ضد العقوق والبر: الصدق، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَبَرُّ رَبَّهُ، أَيْ: يُطيعُهُ وَهُوَ مِنَ الصِّدْق.[1]

وعرفه الفيومي فقال: الْبِرُّ الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ، وَبَرَّ الرَّجُلُ يَبَرُّ بِرًّا وِزَانُ عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا فَهُوَ بَرٌّ بِالْفَتْحِ وَبَارٌّ أَيْضًا أَيْ صَادِقٌ أَوْ تَقِيٌّ وَهُوَ خِلَافُ الْفَاجِرِ وَجَمْعُ الْأَوَّلِ أَبْرَارٌ وَجَمْعُ الثَّانِي بَرَرَةٌ مِثْلُ: كَافِرٍ وَكَفَرَةٍ وَبَرَرْت وَالِدِي أَبَرُّهُ بِرًّا وَبُرُورًا: أَحْسَنْت الطَّاعَةَ إلَيْهِ وَرَفَقْت بِهِ وَتَحَرَّيْت مَحَابَّهُ وَتَوَقَّيْت مَكَارِهَهُ[2] وهو اسم جامع للخير، وأصله الطاعة[3]، وعرفه ابن الأثير قال: هو الإحسان، وهو في حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق، وهوَ الإساءة إليهم والتضييع لحقهم[4].

مما سبق يتبيّن أن معنى البر يدور حول الخير بكل أنواعه.

---

[1] -ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي ت 395هـ: **مجمل اللغة.** 2مج. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1406 هـ - 1986 م) . كتاب الباء، باب الباء وما بعدها في المضاعف والمطابق (111/1) بتصرف. ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة.** 6مج. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. (1399هـ -1979م) ، كتاب الباء ،باب الباء وما بعدها الذي يقال له المضاعف ، مادة بر. (1 /177).

[2] - الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الحموي ت نحو 770هـ: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.** 2مج. بيروت: المكتبة العلمية. كتاب الباء، مادة برر. (43/1). بتصرف.

[3] -القلعجي، القنيبي : محمد رواس و حامد صادق: **معجم لغة الفقهاء.** ط2. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. (1408 هـ - 1988 م). حرف الباء (105/1) بتصرف.

[4] - ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الشيباني ت 606هـ: **النهاية في غريب الحديث والأثر.** 4مج. تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. (1399هـ - 1979م) باب الباء مع الراء (116/1). بتصرف انظر: عاشور ،أحمد عيسى: **بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام.** القاهرة: مكتبة القرآن. د.ط. (ص7).

المطلب الثاني: الوصايا المتعلقة بالوالدين

قرن الله سبحانه وتعالى حق الوالدين بحقه واعتبر العقوق من الكبائر، وهو نكران للمعروف في حق الوالدين كما أنه نكران لحق الله تعالى لأن العاق قد تجاهل وصية الله في الوالدين، فهو عصيان لأمر الله، وهو أمر متعلق بعبادة الله؛ لأن الله عطف بر الوالدين على التوحيد مباشرة، فدلّ الأمر على عظم بر الوالدين، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: 23-24).

ومهما قدم الولد لوالديه فإنّه لن يؤديهما حقهما فحق على الأبناء أن يعلموا أن رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما، ولن يسعد الولد في دنياه ولا في آخرته، إذا كان عاقا لوالديه سواء كانا حيين أو ميتين، وسيتبين ذلك لاحقا بإذن الله في باب عقوق الوالدين والآثار المترتبة عليه.

يقول الأستاذ عبد الرؤوف الحناوي: "في القرآن الكريم آيات تدعو إلى عبادة الله وحده مقرونة بالإحسان إلى الوالدين منها قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء :36) وهذا القرآن دليل على ما بينهما من تلازم وارتباط، إذ لا تكفي العبادة مع العقوق، ولا يغني الإحسان مع الإشراك لأن طبيعة العبادة الامتثال والطاعة ولا تتم إلا بهما، والعقوق والعصيان استكبار فهو خارج عن طبيعة العبادة ومعناها "[1].

ويظهر هذا جليًا في الآية الواردة في سورة الإسراء، وهي قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا

[1]- الحناوي : عبد الرؤوف ،**مختصر بر الوالدين** ، د. ط ، (ص12).

تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: 23-24).

لقد بدأ الله تعالى الآية الكريمة بالأمر بعبادته، وهذا أعلى مراتب التوحيد، ثم عطف بوصايا عظيمة، وهذا دليل على قيمة الوصايا لأن في اقترانهما دلالة على أن العبادة لا تصلح من غير القيام بهذه الوصايا، وهي المضامين الاجتماعية التي جاءت سورة الإسراء لتنبِّه عليها، وجاء القرآن يستجيش الرحمة في قلوب الأبناء.

يقول سيد قطب: " بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء، ذلك أنَّ الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة إلى الجيل المقبل وقلّما توجه اهتمامهم إلى الوراء إلى الأبوة إلى الحياة المولّية إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات، إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر؛ كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية- إن أمهلهما الأجل- وهما مع ذلك سعيدان! فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية... وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف! وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعد الأمر المؤكد بعبادة الله "[1].

قال الشيخ الشعراوي:" لكن لماذا قرن الله تعالى بين عبادته وبين الإحسان إلى الوالدين؟ أتريد أن نقرب الأولى بالثانية، أم نقرب الثانية بالأولى؟

[1] - قطب، سيد: **في ظلال القرآن (2221/4).**

نقول: لا مانع أن يكون الأمران معاً؛ لأن الله تعالى غَيْب، والإيمان به يحتاج إلى إعمال عقل و تفكير، لكنَّ الوالدين بالنسبة للإنسان أمر حسيّ، فهما سِرٌّ وجوده المباشر، وهما رَبَّياه ووفَّرا له كل متطلبات حياته، وهما مصدر العطف والحنان؛ إذن التربية والرعاية في الوالدين مُحسَّة، أما التربية والرعاية من الله فمعقولة، فأمْرُ الله لك بالإحسان إلى الوالدين دليل على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، فهو سبحانه الذي خلقك، وهو سبب وجودك الأول، وهو مُربّيك وصاحب رعايتك، وصاحب الفضل عليك قبل الوالدين، وهل ربّاك الوالدان بما أوجداه هما، أم بما أوجده الله سبحانه؟ إذن: لابد أن يلتحم حَقُّ الله بحقِّ الوالدين، وأن نأخذ أحدهما دليلاً على الآخر"[1].

لقد ذكر الله في حقه العبادة لأنه سبحانه مستغن عن الإحسان، مستحق للعبادة، وذكر الإحسان للوالدين؛ لأنهما بأمس الحاجة إلى الإحسان؛ والآية توصي بالإحسان الى الوالدين وعدم عقوقهما، لما لهما من حق، أقره الله في كتابه، وهي وصية عظيمة من الله للعناية بمن أفنى حياته من أجل أبنائه، دون النظر إلى حالهما.

وفي الآية جملة وصايا هي:

أولا: الإحسان إلى الوالدين قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ نَشَآءُ الإسراء:23).

والآية واضحة في الأمر بعبادة الله جل وعلا، فهذا قضاء الله العاجل لعباده، والأمر بمعاشرة الأبوين بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، ومعاملتهما بالحسنى، فلا بد للعلاقة مع الوالدين أن تكون علاقة إحسان وإصلاح؛ من أجل إرضائهما؛ وخاصة في مرحلة الشيخوخة مرحلة التردِّي: وهي مرحلة يحس بها الوالدان بالحاجة الشديدة إلى الأبناء فجاء بالعطف مباشرة على ما قبله؛ وهو عبادة الله، وجاء بالباء ليفيد الإلصاق .

[1]- الشعراوي محمد متولي، ت1418ه : **تفسير الشعراوي**. 20مج. مطابع أخبار اليوم. د.ط. (8453/14)

قال أبو بكر الجصاص: "معناه أمر ربك بالوالدين إحسانا، وقيل: معناه وأوصى بالوالدين إحسانا، والمعنى واحد، لأن الوصية أمر وقد أوصى الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما في غير موضع من كتابه، وقال ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء:23) فَأَمَرَ بِمُصَاحِبَةِ الْوَالِدَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ مَعَ النَّهْيِ عَنْ طَاعَتِهِمَا فِي الشِّرْكِ لِأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ"[1]، وهنا لا بد من بيان المناسبة بين الأمر بعبادة الله تعالى، والأمر ببر الوالدين، وذلك من وجوه منها:

قال فخر الدين الرازي: الوجه الاول : أنَّ السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده، والسبب الظاهري هو الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي، ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري.

الوجه الثاني: أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا قَدِيمٌ وَإِمَّا مُحْدَثٌ، ويجب أن تكون معاملة الإنسان مع الإله القديم بالتعظيم والعبودية، ومع الْمُحْدَثِ بإظهار الشفقة، وأحق الخلق بصرف الشفقة إليه هما الأبوان لكثرة إنعامهما على الإنسان فقوله: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ) إشارة إلى التعظيم لأمر الله وقوله: (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) إشارة إلى الشفقة على خلق الله.

الوجه الثالث: أن الاشتغال بشكر المنعم واجب، ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالى. وقد يكون أحد من المخلوقين منعما عليك، وشكره أيضا واجب وليس لأحد من الخلائق نعمة على الإنسان مثل ما للوالدين [2].

---

[1] الجصاص، حمد بن علي أبو بكر الرازي ت370هـ: **أحكام القرآن**. ت محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط(1405هـ). (19/5).

[2]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (321/20) بتصرف.

ثم جاءت الآيات بعد ذكر الإحسان، يبيّن الله فيها عما أراده من قصده من وراء الإحسان؛ فحددها متسلسة بعد الإحسان لأنها مترتبة منه فجاءت فيها الآيات مبيّنة نوعه اتجاه الوالدين.

ثانيا: رعايتهما عند الكبر.﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ (الإسراء:23).

و هنا الحديث عن مرحلة جديدة في حياة الوالدين، ومقطع جديد من مقاطع الحياة وهي بلوغ الكبر، والآية هنا أوصتْ بالوالدين في حال الكِبَر، فلماذا خُصَّتْ هذه الحال دون غيرها؟

أجاب القرطبي قال: "خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاّ [1]عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وأيضا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال له عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال:{فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا }"[2].

قال الشعراوي:"لأن الوالدين حال شبابهما وقُوتهما ليسا مظنّة الإهانة والإهمال، ولا مجال للتأفف والتضجُّر منهما، فهما في حال القوة والقدرة على مواجهة الحياة"[3]. ولا يجزي ولد والده شيئا إلا أن يجده مملوكا فيعتقه، كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى

---

[1]- والكل: العيال والثقل، قال الله - جل ذكره - : {وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ}، ابن فارس: **مجمل اللغة**، باب الكاف وما بعدها في المضاعف والمطابق (765/1).

[2]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدينت671هـــ **الجامع لأحكام القرآن.** 10مج. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة : دار الكتب المصرية. (1384هـ) ((241/10).

[3]- الشعراوي : **تفسير الشعراوي** (8456/14).

الله عليه وسلم: **"" لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ "**[1]. وفيه تعظيم حق الوالدين، وأن الولد لو فعل من البر ما فعل لا يكافئ والده إلا بعتقه[2].

و قد خاب وخسر من أدرك والديه ولم يدخلاه الجنة فقد رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ "**[3].

وهذا الحديث يدل على عظم بر الوالدين وعظم ثوابه، وأن من بَرَّ والديه وخدمهما وقام على رعايتهما عند الكبر كان ذلك سببا في دخوله الجنة، وأن من قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه.

قلت : وعدم دخول الجنة ليس مطلقا، وإنما هو بقدر الذنب، ثم بعد ذلك مآله الى الجنة ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[4].

ثالثا: تجنب التأفف منهما وعدم إيذائهما في القول والفعل قال تعالى:﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ (الإسراء:23). قال الزحيلي:" ألّا تقول لهما أفّ (وهي كلمة تضجر وتبرم) تقتضي أن لا تسمعهما أدنى مراتب القول السيِّئ؛ ولو بتوجيه كلمة إيذاء مكونة من حرفين تدل على التضجر والمضايقة فتلك الكلمة الصغيرة ذات إساءة بالغة، حتى ولو صدر منهما ما يضايق"[5].

---

[1] - مسلم : **صحيح مسلم.**. كتاب العتق ، باب فضل عتق الوالد ،حديث رقم 1510 (1148/2) .

[2] -الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك النجدي ت 1376هـ: **تطريز رياض الصالحين**. تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد. ط1. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع (1423هـ-2002م). (221/1).

[3] -مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والأدب، باب رغم أنف من أدرك أبويه، حديث رقم 2551 (1978/4)

[4] -انظر: رضا، رشيد: محمد بن علي ت: 135 هـ: **تفسير المنار**. 12مج. الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1990م) (83/8).

[5] - الزحيلي: د وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**. 3مج. ط1. دمشق: دار الفكر.(1422هـ) (1340/2).

قال ابن عاشور:" **و**ليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما أف خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى"[1]. والتأفف من الوالدين؛ هو تأفف على الله؛ لأنه هو الذي أوجدهما، وأمر بالإحسان إليهما.

رابعا: مخاطبتهم بلين الكلام والقول الحسن:{**وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** }(الإسراء:23).

ولم تكتف الآية الكريمة من التحذير من التأفف والقول المؤذي بل أردفه بطيب الكلام المقرون بالتعظيم؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن أي منها، فلا بد من الإتيان بهما معا؛ وكون الولد مأمورا باجتناب ما يؤذيهما، وجب عليه الإتيان بما يرضيهما من حسن الكلام لما له من وقع في قلب الوالدين.

قال فخر الدين الرازي: "واعلم أنه تعالى لما منع الإنسان بالآية المتقدمة عن ذكر القول المؤذي الموحش والنهي عن القول المؤذي لا يكون أمرا بالقول الطيب لا جرم أردفه بأن أمره بالقول الحسن والكلام الطيب فقال: وقل لهما قولا كريما والمراد منه أن يخاطبه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام"[2] والقول الكريم اللِّين الطيّب؛ الذي يظهر معه التعظيم والحياء.

قال الدكتور الزحيلي: " والقول الكريم الجامع للمحاسن، من اللّين وجودة المعنى، والتوقير والتعظيم والحياء ويلاحظ أن الله تعالى قدم النهي عن المؤذي، ثم أمر بالقول الحسن والكلام الطيب"[3] الذي يتّسم بالرأفة والمودة والعطف و الشفقة.

---

[1] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (70/15).انظر: الرازي : **مفاتيح الغيب** (225/20- 226). انظر: الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ت 310هـ: **جامع البيان في تأويل القرآن.** 24مج. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط1. مؤسسة الرسالة. (1420هـ - 2000م) (413/17).انظر: المراغي : **تفسير المراغي** (35/15).

[2]- الرازي: **مفاتيح الغيب** (326/20).

[3]- الزحيلي: **التفسير الوسيط** (1340/2).

قال البقاعي: " أي قولا حسناً جميلاً يرضاه الله ورسوله مع ما يظهر فيه من اللين والرقة والشفقة وجبر الخاطر وبسط النفس، كما يقتضيه حسن الأدب وجميل المروءة، ومن ذلك أنك لا تدعوهما بأسمائهما، بل بيا أبتاه ويا أمتاه ونحو هذا"[1] وسئل الفضيلُ بنُ عياض[2] عن بر الوالدين فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفعَ صوتَك عليهما ولا تنظُرَ إليهما شزْرا[3] ولا يَرَيا منك مخالفةً في ظاهر ولا باطن وأن تترحّم عليهما ما عاشا وتدعوَ لهما إذا ماتا"[4].

قلت : وتكريم الوالدين هو تكريم وتعظيم لله؛ لأن الذي يكرم والديه ويعظّمهما، إنما هو بذلك يعظّم الله؛ لأنه التزم بأمره، وتكريمه لوالديه لا بد أن يكون ليِّنا سهلا مذللا استجابة لأمر الله؛ وهو قمة العبادة، وليس إرضاء لهما فقط.

خامسا: التذلل لهما من باب الرحمة : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.(الإسراء:24).

و هذه مرحلة أخرى من مراحل العناية والوصاية بالوالدين، وهي مرحلة التذلل لهما رحمة بهما، بخفض الجناح لهما، ونلاحظ هنا أن الله انتقل من مرحلة القول إلى الأمور بالمتعلقة بالأفعال.

يقول الدكتور الزحيلي:" وتواضع لهما بفعلك، وألن الجانب لهما، وقف معهما موقف الخاشع المتذلل، كحال الطائر إذا ضم إليه فرخه، فيخفض له جناحه، وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل

---

[1]- البقاعي **: نظم الدرر** (403/11).

[2] - الفضيل بن عياض التميمي. ويكنى أبا علي. ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره. انتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة. وكان ثقة ثبتا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث: ابن سعد : **الطبقات الكبرى** (43/6) : انظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. 7مج.** تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.(48/4).).انظر: ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني ت852هـ: **تهذيب التهذيب**. 12مج. الهند: ط1. مطبعة دائرة المعارف النظامية. (1326هـ) (294/8).

[3] - نظرٌ فيه إعراض ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة** (271/3

[4] -أبو السعود ، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت 982هـ: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (166/5).

الإنسان نفسه مع أبويه في حال ذلّة، في أقواله وسكناته ونظره رحمة بهما وشفقة عليهما، تنبع تلك الرحمة من النفس، لا من أجل امتثال الأمر، وخوف العار والنقد فقط"[1].

يقول فخر الدين الرازي:" قوله: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة المقصود منه المبالغة في التواضع، وذكر القفال[2] في تقريره وجهين: الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه.

فإن قيل: كيف أضاف الجناح إلى الذل والذل لا جناح له؟

فجوابه: فيه وجهان: الأول: أنه أضيف الجناح إلى الذل كما يقال: حاتم الجود[3] فكما أن المراد هناك حاتم الجواد فكذلك هاهنا المراد، واخفض لهما جناحك الذليل، أي المذلول.

والثاني: إن مدار الاستعارة على الخيالات فهاهنا تخيل للذل جناحا وأثبت لذلك الجناح ضعفا تكميلا لأمر هذه الاستعارة"[4].

---

[1] - الزحيلي : **التفسير الوسيط** (1340/2).

[2] - هو القفال الشاشي الكبير،وليس القفال المرزوي، تكرر فى كتب التفسير والحديث، والأصول والكلام والجدل، اسمه محمد بن على بن إسماعيل، تفقه على ابن سريج، وكان إمام عصره بما وراء النهر، وأعلمهم بالأصول شرح رسالة الشافعي، توفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. النووي، أبو زكريا محيي الدين ت 676هـ: **تهذيب الأسماء واللغات**. 4مج. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة =المنيرية. بيروت:دار الكتب العلمية، لبنان.(281/2). وللتفريق بينهما أنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي ت 1396هـ: **الأعلام**. ط. 15دار العلم للملايين. (2002 م) (66/4).

[3] - يقال في الأمر عظيم القدر والشرف: انظر : العظيم آبادي، محمد أشرف ابن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، ت 1329هـ: **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته**. 14مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية .(1415 هـ) (178/4).

[4] - الرازي : **مفاتيح الغيب** (326/20).

قلت: والقول الثاني أبلغ في الوصف، وأوقع في القلب، في تقريب صورة التذلل للوالدين والتواضع لهما، والحنو عليهما؛ ويكون ذلك التذللُ تذللَ رحمةٍ لا تذللَ خوفٍ ومداراة، والإتيان بالاستعارة في هذا المقام أبلغ؛ لأن الموقف موضع شدة، والرجل عندما يقع في موضع شدة يحتاج إلى الاستعارة لتقريب الأمر إلى قلبه لما فيه من المعاناة، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء: 49) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: 124)، فذكر الفتيل والنقير[1]؛ تقريبا إلى العقل والقلب، أنهما لا يظلمان بمقدار هذين الأمرين التافهين.

ويقول الشيخ الشعراوي: " الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويُرفْرِف به، إنْ أراد أن يطير، ويخفضه إنْ أراد أن يحنوَ على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم، وهذه صورة مُحسَّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتعالياً على غيره"[2].

وهذا الوصف ينعكس على الابن فإن كان باراً تذلل لوالديه رحمة بهما، فوُصف بره كحال الطير إن أراد إن يشفق على فراخه ويريد أن يحميهما من كل سوء؛ رحمة بصغاره وإن كان عاقا، سوف يبتعد عنهما محلقا بعيدا؛ متكبرا عليهما، وبهذه الصورة الرائعة خاطب الله نبيَّه؛ بقوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر:88).

سادسا: طلب الرحمة لهما في حال الكبر وبعد الوفاة﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ الإسراء:24).

يقول الدكتور الزحيلي: واطلب الرحمة لهما؛ لأنَّ الوالدين قد سبقا الولد بهذه الرحمة في صغره، فالآية تدعو المسلم إلى أن يدعو لوالديه؛ لأن الدعاء جامع للخير في الدنيا والآخرة، وأن يقول في دعائه: رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً، أي أفض عليهما فيضَ الرحمات، كالرحمة التي

---

[1] -الفتيل ما كان في شق النواة، والنقير النقطة التي في ظهر النواة، وهذه الأشياء كلها تضرب أمثالا للشيء التافه الحقير: انظر: **المصدر السابق** (100/10).

[2] -الشعراوي : **تفسير الشعراوي** (8463/14).

شملتني بتربيتهما لي في حال الصغر وهذا التذكير بتربية الصغر مما يزيد الإنسان إشفاقا وحنانا عليهما[1].

قال فخر الدين الرازي :" قال القفال رحمه الله تعالى: إنَّه لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال بل أضاف إليه تعليم الأفعال، ثم يقول: كما ربياني صغيرا، يعني ربِّ افعل بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسنا إليّ في تربيتهما إيّاي"[2].

والرحمة من الأبناء من أحوج ما يحتاج إليه الآباء عند الكبر لما فيهما من الضعف لذلك نرى أنَّ الله تعالى أَمر عباده بالتَّرحُّم على آبائِهم والدُّعاء لهم، وأنَّ ترحمهما كما رحِمَاك وترفق بهما كما رفَقَا بك، إِذْ ولِيَاك صغيرا جاهلا محتاجا فآثراك على أَنفسِهِمَا، وأَسهَرا ليلهما، وجاعا وأَشبعاك، وتعرَّيا وكسواك، فلا تَجزِيهِمَا إِلَّا أَن يبلغَا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما ولِيَا منك، ويكون لهما حينَئذٍ فَضْلُ التَّقدم[3].

فواجب الأبناء أن يحفظا عهد الله مع آبائهم بالدعاء لهما، رحمة بهما؛ لما بذلاه من جهد في تربيتهم صغارا؛ التزاما بأمر الله. وجاء طلب الرحمة لهما؛ حتى يستشعر الولد حاله عندما كان صغيرا؛ كيف أفنى الوالدان عمرهما في تربيته ورعايته. فجاء الجواب الإلهي، معللا سبب الرحمة للوالدين؛ في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ الإسراء:24).

وهكذا ختم الله أمر الوصية بالوالدين، وهذه هي الوصايا التي ينال العبد بها رضا الله ورضا الوالدين؛ لأنها السبيل إلى الجنة؛ والفوز بالآخرة، وإلا فلن يصيب المرء إلا الحسرة والندامة، كما بيّنت السورة في قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ (الإسراء:18-19). وعلى الولد أن

---

[1]- الزحيلي : **التفسير الوسيط** (2/1340-1341) بتصرف.

[2]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (20/327).

[3] -القرطبي **: تفسير القرطبي** (10/244).

يعلم أنَّ ما يأمره الله به من الإحسان إلى الوالدين؛ ليس لله فيه نفع يخص الله تعالى؛ وإنما يعود نفعه على الولد؛ لأنه تعالى في غنىً عن العالمين، والإنسان السويّ ليس له إلا الإلتزام بما أمر الله.

المطلب الثالث : بيان فضل بر الوالدين

بر الوالدين من أعظم الواجبات، وفي القرآن الكريم آيات[1] كثيرة تدعو إلى عبادة الله وبر الوالدين، وهذا دليل على ما بينهما من تلازم وارتباط ذلك؛ أنَّ الحق سبحانه يريد منّا أن ندرك عظم فضله علينا بلفت نظرنا على عظيم فضل والدينا علينا، فإن كان السبب صاحب فضل، فكيف بالمسبِّب؟ وكما أن الوالدين أرادهما الله سببا لخيرات الدنيا، فإنَّه يريدهما سببا لخيرات الآخرة في حال برّنا بهما فكأنَّه يقول لنا: هما محض خيركم في دنياكم وأخراكم، وبذلك ندرك أنَّهما بعد الإيمان أعظم نعمة علينا من الله، وأنَّ رضاهما من تمام العبودية لله.

وفي هذا يقول فخر الدين الرازي: واعلم أنَّه تعالى قرن إلزام بر الوالدين بعبادته وتوحيده في مواضع، قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(الإسراء: 23) وقوله:﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(لقمان: 14) وكفى بهذا دلالة على تعظيم حقهما وبيان فضلهما، ووجوب برهما والإحسان إليهما. ومما يدل على وجوب البر إليهما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء: 23) وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾(العنكبوت: 8)[2].

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم عظم بر الوالدين في غير موضع، ومن الأحاديث التي تُبيّن فضل بر الوالدين:

---

[1]- تقدم عزوها (ص24).

[2]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (76/10) بتصرف.

أولا: سُئل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "بِرُّ الوَالِدَيْنِ" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:"الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي**[1]. نلاحظ في هذا الحديث أنَّ برَّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله، ليس هذا فحسب، بل هو مذكور بعد أهمّ أركان الدّين، وهو الصلاة، ولا شك أن ذلك يدل على أهميته، ومن هنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توجيه الأبناء نحو بر الوالدين، كما في حديث عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ[2] إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: "أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟" ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"**[3].

قال القرطبي : "فِي هذا الحديث النهي عن الخروج بغير إذن الأبوين ما لم يقع النفير العام، فإذا وقع وجب الخروج على الجميع"[4].

قال السمرقندي في تنبيه الغافلين :" في هذا الخبر دليل على أنَّ بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يترك الجهاد ويشتغل ببر الوالدين. وهكذا نقول إنَّه لا يجوز للرجل أن يخرج إلى الجهاد في سبيل الله إذا لم يأذن له أبواه، ما لم يقع النفير عاما، وتكون طاعة الوالدين أفضل من الخروج إلى الغزو"[5].

قال القرافي :" فجعل عليه السلام الكون مع الأبوين أفضل من الكون معه وجعل خدمتهما أفضل من الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيّما في أول الإسلام ومع أنَّه لم يقل في الحديث أنَّهما منعاه بل هما موجودان فقط فأمره عليه السلام بالأفضل في حقه وهو الكون

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** ،كتاب الأدب ،باب قوله تعالى {ووصينا الإنسان بوالديه}حديث رقم 5970 (2/8). مسلم: صحيح مسلم، كتاب بر الوالدين وأنهما أحق به، حديث رقم 2549 (4 /1974).

[2] - هو جاهمة بن العباس بن مرداس : البخاري : **صحيح البخاري**، تعليق مصطفى البغا، أسلم وصحب النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه أحاديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى (27/4).

[3] البخاري : **المصدر السابق** ، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، حديث رقم 3004 (59/4). مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب بر الوالدين وأنهما أحق به، حديث رقم 2549(1974/4).

[4]- القرطبي :**الجامع لأحكام القرآن** (240/10).

[5] - السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت 373هـ: **تنبيه الغافلين**. تحقيق يوسف علي بديوي. ط3 دمشق: بيروت. دار ابن كثير. (1421 هـ - 2000 م) (124/1).

معهما وفرض الجهاد فرض كفاية يحمله الحاضرون عند النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث أعظم دليل وأبلغ في أمر الوالدين فإنَّه عليه الصلاة والسلام رتّب هذا الحكم على مجرّد وصف الأبوّة مع قطع النظر عن أمرهما وعصيانهما"[1].

قال ابن حجر :"ويؤخذ منه أنَّ كلّ شيء يتعب النّفس يسمّى جهادا وفيه أنَّ بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد"[2].

ثانيا: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ[3] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: " أُمُّكَ " قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَبُوك "**[4].

نلاحظ من الحديث عظم برّ الوالدين كما بين النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنَّنا نغفل عمّا نعلم، وقد يظنّ الواحد منّا أنّ بإمكانه الاستغناء عن الوالدين بوجود الصحبة، ولكن الحق أنّهما أحوج ما نحتاج إليه، ولا يمكننا أن نستغني عنهما وعن مشورتهما فلهما تجربة سابقة، وهما حريصان أشدّ الحرص على النصح والإرشاد أكثر من حرصهما على نفسيهما وهما لا يستغنيان عن صحبتنا ومحادثتنا ومشاورتنا وقد أمر تعالى بحسن صحبة الوالدين ولو كانا كافرين قال تعالى ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾ (لقمان:15).

---

[1] - القرافي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي ت684ه: **الفروق.** 4مج. عالم الكتب. د.ط. (144/1).

[2]- ابن حجر : **فتح الباري** (140/6).

[3] -هو معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم : ابن حجر : **فتح الباري** (331/1).

[4] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بالصحبة ، حديث رقم 5971 (2/8) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، حديث رقم 2548 (1974/4).

والصحبة بالمعروف تقتضي برّهما في الحياة والإحسان إليهما والإنفاق عليهما إذا كانا محتاجين، والسّمع والطّاعة لهما في المعروف، وخفض الجناح لهما وعدم رفع الصوت عليهما ودفع الشر عنهما في الحياة وفي الموت، إلى غير ذلك من وجوه الخير؛ كل ذلك من حسن الصحبة للوالدين.

وليس مراد الكلام هنا النهي عن اتخاذ الصاحب والصديق، فلا بأس في ذلك، وهو أمر مشروع، ولكن الحذر من أن تكون هذه الصحبة على حساب بر الوالدين، فهما أحوج للصحبة من غيرهم خاصة في حال الكبر.

المطلب الرابع: مظاهر عقوق الوالدين، وأسبابه، والآثار المترتبة عليه وعلاجه

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وقد حذر الله منه في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء:23)▪وعقوق الوالدين من الأمراض التي انتشرت في الأبناء، وهو من الأمور التي تعرض الأسرة للدمار والتفكيك، ومظاهر العقوق كثيرة، وأحيانا لا نلقي لها بالا، وقد تكون بأقل أنواع الكلام، ولعظمه نرى سورة الإسراء تحذر منه في أقل صيغة له، وأقل كلمة وهي كلمة أف.

قال الرازي:" وهذا نهاية المبالغة في المنع من إيذائهما[1] مما يدل على وجوب البر إليهما"[2].

وقال الذهبي:" ونهى أن يقال لهما أف، إذ هو كناية عن الإيذاء بأي نوع كان حتى بأقل أنواعه"[3].

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم عِظم عقوق الوالدين حيث قرنه بالإشراك بالله، ولا يُعذر فيه أحد بأي حجة كانت، وأي طبع وسجيّة من كان فيه سوء خلق، وإن عقوق الوالدين يترتب عليه

---

[1]- الرازي: **مفاتيح الغيب** (586/3).

[2]- **المصدر السابق** (76/10).

[3]- الذهبي : **الزواجر عن اقتراف الكبائر** (106/2).

التفريط في العقاب كما صرّح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ[1] عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ**[2]. والعقوق: مخالَفة الوالدين فيما يأْمُرانِ بِهِ منَ الْمباح، وسوءُ الْأَدب فِي القوْل و الفعْ [3] فانظر كيف قرن الْإِسَاءَة إليهما وَعدم الْبر بهما والإحسان إليهما بالإشراك بالله. والكلام في عقوق الوالدين يقتضي الكلام في أربعة أمور هي: مظاهر عقوق الوالدين، أسباب العقوق، والآثار المترتبة على العقوق، وعلاج العقوق.

أولا: مظاهر عقوق الوالدين وفيه:

1. الإدعاء إلى غير أبيه[4].

حرص الإسلام على إشهار نسب الابن من أول يوم يولد فيه، وكثيراً ما يحدث في المجتمعات غير الإسلامية العجب العجاب، ففي المجتمع الجاهلي القديم كان الابن يتنصَّل من نسبه لأبيه، وفي المجتمع الجاهلي الحديث نرى أن الابن يخجل بأبيه، والعياذ بالله .

والأمر أخطر ما يكون عندما نعلم عاقبة إنكار النسب وتبرؤ الولد من والده، فعَنْ سَعْدٍ - رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِي صلى الله عليه و سلم **يَقُولُ"مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ "**[5].

---

[1] - و هو أول مولود ولد بالبصرة، فنحروا يومئذ جزورا وهم بالخريبة، فأطعم أهل البصرة فكفتهم وكانوا قدر ثلاثمائة، وكان ثقة له أحاديث ورواية. وتوفي عبد الرحمن وله عقب: ابن سعد **: الطبقات الكبرى** (141/7)، وانظر: ابن حجر **: تهذيب التهذيب** (148/6).

[2] - البخاري : **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ، حديث رقم 2654 (3/ 172) وكتاب الأدب ،باب عقوق الوالدين من الكبائر حديث رقم 5976و5977 (4/8).

[3] - ابن الجوزي : **البر والصلة** (116).

[4] - ابن الجوزي : **المصدر السابق** (126).

[5] - البخاري :**صحيح البخاري**، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه ،حديث رقم6766 (156/8).

قلت: قوله صلى الله عليه وسلم فالجنة عليه حرام، قال ابن الجوزي: ففيه تأويلان أحدهما أنه محمول على من فعله مستحلا له والثاني أن جزاءه الحرمة عليه أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ثم إنه قد يجازى فيُمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازى بل يعفو الله سبحانه وتعالى[1].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "**لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**"[2].وهذا التشديد يتماشى مع عناية الإسلام بإصلاح الأسرة وروابطها من كل شبهة ومن كل دخل وحيطتها بكل أسباب السلامة والاستقامة والقوة والثبات ليقيم عليها بناء المجتمع المتماسك السليم النظيف العفيف.[3] وقال ابن كثير: " وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد، فِي التَّبَرِّي من النسب المعلوم"[4].

قلت: وليس المراد من الكفر الخروج من الملة، وعدم دخول الجنة على التأبيد، وقوله صلى الله عليه وسلم: فمن رغب عن أبيه فهو كفر، قال الحريملي:" المراد: من رَغِبَ عن نسب أبيه يعني عالمًا مختارًا، فهو حرام، وقد فعل فعلاً شبيهًا بفعل أهل الكفر، وليس المراد حقيقة الكفر، الذي يخلد صاحبه في النار، فهو كفر دون كفر"[5]. فيكون الحديث محمولا على التهديد و الوعيد.

2 **عدم الإحسان إليهما، بل التسبب في إيذائهما؛** مخالفا لأمر الله تعالى: ﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ ويتسبب في بكائهما، [6]ويحد النظر إليهما ويتسبب في إغضابهما، ويبخل

---

[1] -النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت 676هـ: **المنهاج شرح صحيح مسلم** . 18مج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1932هـ)،(52/2) بتصرف.

[2] - البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ،حديث رقم6768 (156/8)

[3]- قطب **: في ظلال القرآن** (2826/5).

[4]- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ت774 هـ: **تفسير القرآن العظيم**. 8مج. تحقيق سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر (1420ه-1999م) (379/6).

[5]- الحريملي: **تطريز رياض الصالحين**، كتاب الأمور المنهي عنها، باب تحريم الانتساب إلى غير أبيه ، حديث رقم 1803 (1019/1).

[6] -انظر: ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **بر الوالدين** ،د.ط (ص15)، انظر: الحناوي **: مختصر بر الوالدين** (ص116-122)، بتصرف، انظر: السدحان : **معالم في بر الوالدين** (ص15-16).

في الإنفاق عليهما، ويفضل زوجته وأولاده عليهما، ويعبس بلقياهما، والتبسم مع عموم المسلمين براً وقربة فمن باب أولى الترحاب والبسمة في حق الوالدين، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"**[1] ويتأخر في قضاء حاجتهما؛ بل يتمنى زوالهما، والتسبب في سبهما كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **قَالَ: مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ.**[2] **وَ فِي رِوَايَةٍ البخاري: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**[3].

ثانيا:أسباب العقوق[4].

إنّ أسباب العقوق كثيرة، وما ذلك إلا لمخالفة الناس أوامر الله؛ لأن العاق لوالديه، عاق ابتداء لأوامر الله الذي قرن بين عبادته والإحسان إليهما، وسورة الإسراء عالجت هذه الآفة من الآفات الاجتماعية، وهذا تجلى في قوله تعالى﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ (الإسراء:23)**.**

وأما أسباب العقوق فهي كما يلي:

1.الجهل: فالجهل بتعاليم الدين؛ داء قاتل، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴾ (الإسراء:41) وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ ﴾ (الإسراء89) والجاهل عدوٌ

---

[1] - مسلم **: صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء حديث رقم 2626 (2026/4).

[2] - مسلم : **المصدر السابق** كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، حديث رقم 90 (92/1).

[3] - البخاري **: صحيح البخاري**، كتاب الأدب ،باب لا يسب الرجل والديه ، حديث رقم 5973 (3/8).

[4] - انظر: الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد، **عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج**،الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية دون بيانات، د.ط.(25 -27) بتصرف.

نفسه، فإذا جهل المرء عواقبَ العقوق العاجلة والآجلة، وجهل ثمرات البر العاجلة والآجلة قاده ذلك إلى العقوق، وصرفه عن البر.

2 . سوء التربية: لعدم الالتزام بكتاب الله في تربية الأولاد؛ ففيه الشفاء قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾الإسراء:82)

3 . التناقض: وذلك إذا كان الوالدان يعلّمان الأولاد، وهما لا يعملان بما يعلّمان، بل ربما يعملان نقيض ذلك، قال تعالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة:44) فهذا الأمر مدعاة للتمرد والعقوق.

4 . الصحبة السيئة: فهي مما يفسد الأولاد، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان:27 - 29) مما يجرئهم على العقوق. وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**"[1].

يقول القاري الهروي : إن مصاحبة الأخيار تورث الخير ومصاحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا هبت على الطيب عبقت طيبا، وإن مرت على النتن حملت نتنا. لأن الفساد أسرع والحاصل أن الصحبة تؤثر، ولذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: 119)[2].

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب البيوع ، باب في العطار وبيع المسك ،حديث رقم 2101 (63/3) : مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث رقم 2628(2026/4).

[2] - القاري : **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (** 3136/8 -3137). بتصرف

ثالثا: الآثار المترتبة على عقوق الوالدين

1 العاق لوالديه يلعنه الله و الملائكة و الناس أجمعين:

يقول رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:"**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا** "[1].

ووجه لعنته صلى الله عليه وسلم لأهل المعاصي يريد الملازمين لها غير التائبين منها ليرتدع بذلك من فعلها وسلك سبيلها[2].

يقول عبد العزيز بن باز: "والعقوق وقطيعة الرحم والربا، كل هذه أنواع من الوعيد، والمقصود منها التنفير والتحذير من معاصي الله جل وعلا، فإذا فعل المسلم واحدا منها صار نقصا في إيمانه وهو على خطر من دخول النار".[3]

2 إجابة دعاء الوالدين على الولد العاق[4].

مما ينبغي أن يحرص عليه المسلم أن لا يتسبب في إغضاب والديه؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى دعائهما عليه؛ وقد يستجيب الله عز وجل هذا الدعاء، كما ورد في قصة جريج، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا مِنْ طِينٍ** "[5].

---

[1] - مسلم : **صحيح مسلم**، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي ، حديث رقم 1370 (994/2)، كتاب الطلاق ،باب تحريم تولي العتيق غير مواليه حديث رقم 1370 (1147/2).

[2] -ابن بطال **: شرح صحيح البخاري** (399/8).

[3] - ابن باز:عبد العزيز بن عبد الله ت 1420هـ: **فتاوى نور على الدرب.** جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها :عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ. د.ط. (160/3).

[4] - ابن الجوزي : **البر والصلة** (122).

[5] -البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب أحاديث الأنبياء ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ أَهْلَهَا} (مريم: 16) حديث رقم 3436 (165/4).

في هذا الحديث إشارة إلى أن دعوة الوالدين مستجابة[1]. وفيه عظم بر الوالدين وتأكد حق الأم ، وأن دعوتها مستجابة، وفيه إشارة إلى محبة الله لعباده الصالحين لذلك علينا أن نحرص على بر الوالدين؛ لأنه سبب من أسباب توفيق الله، أما العقوق فهو سبب من أسباب الخذلان في الدنيا قبل الآخرة، وهذا ما نراه في واقعنا المعاصر، فكثير ممن لم يوفقه الله عزّ وجل يرجع ذلك لدعاء والديه عليه، فلنحرص على دعائهما لنا لا علينا؛ لأن دعاءهما له شأن عند الله عز وجل.

رابعا: علاج العقوق

1 **التربية السليمة الصحيحة للأبناء:**

لقد جاءت سورة الإسراء لعلاج الأمراض الاجتماعية والنفسية والإنسانية، وهذا شان القرآن، فلم يُذْكر داء؛ إلا وذكر له الدواء وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء:82) ولكن لمن هذا الشفاء هو شفاء للمؤمنين ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:82)، وتحتاج التربية السليمة الصحيحة للأبناء كثيرا من الحرص والعناية والوقوف عند أمور مهمة تسهم في بناء شخصية الأبناء؛ وفق مبادئ ديننا الحنيف، فينشأ بذلك جيل صالح منهجه كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وينبغي أن يحرص الآباء على تحقيق هذا؛ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "**[2].

فالتربية السليمة من العوامل الأساسية لتنمية السلوك عند الأبناء وتهذيب أخلاقهم وترسيخ القيم الاجتماعية في نفوسهم، لينشأ لنا جيل، يمتثل قول الله تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

---

[1] - ابن حجر : **انظر فتح الباري** (6/482 -483).

[2] - مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب الهبات، باب بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم 1631 (3/1255).

وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾الإسراء:23) متخذا من القرآن هاديا له قال تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ الإسراء:9) فالقرآن منهج حياة يهدي الإنسان، وعند هجران هذا الكتاب سيكون الإعراض والصدود وسيُعزل القلب عن الله، وسيربطه بواقع لن يجني منه إلا الهمّ والحزن والكآبة ولن يأتيه بخير ويصعب إيجاد حل لما هو فيه، وهذا ما أكدت عليه سورة الإسراء كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ ﴾ (الإسراء:89) فكل شيء في هذا القرآن، إلا أنَّ الإنسان يأبى ذلك ويعرض عنه، ولكي يخرج الإنسان بالعلاج لا بد له أن يعود للقرآن ففيه الشفاء من كل داء، فلا بد من تصحيح العلاقة مع الله بالرجوع إلى كتابه.

قلت: ومن كان عاقا لوالديه لا يعني نهاية المطاف؛ فقد جعل الله باب التوبة أمام العاق مفتوحا، قال تعالى﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ (الإسراء:25).

فالولد قد يخطىء في حق والديه، والله مطلع على خفايا الأمور، لذلك فقد جعل الله للولد مجالا للتكفير عن ذنبه؛ وهو أن يكون صالحا ليكفر عن ذنبه، وأن يكون أوابا إلى ربه ليمحو عنه ما بدر من العقوق.

فهذه هي القاعدة الأساسية التي لا بد للولد أن يستقيم عليها لبناء نظام أسريّ متماسك؛ وإلا فإن مصيره القعود مذموما مخذولا. وقد يسال سائل ماذا لو تاب الولد بعد موتهما؟ هل تقبل توبته؟

أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء "التوبة واجبة من جميع الذنوب، ويغفر الله للتائب كل الذنوب إذا صحت توبته كما قال تعالى: سورة الزمر الآية 53 {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} ويشرع للذي كان عاقا لوالديه حتى ماتا أن يكثر الدعاء لهما إذا كانا مسلمين ويتصدق عنهما، ويسدد ما عليهما من الديون إذا كان عليهما ديون وليس لهما تركة تسدد منها، وينفذ وصاياهما إذا كان لهما وصايا شرعية".[1]

[1] - كتاب: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ،المجموعة الرابعة .،فصل: إذا تاب من عقوق والديه بعد وفاتهما.

المبحث الثاني

الوصية بالأقارب وصلة الرحم

المطلب الأول:تعريف القرابة

القرابة لغة من مادة " قَرُبَ " يقول ابن فارس:"قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْبًا. وَفُلَانٌ ذُو قَرَابَتِي، وَهُوَ مَنْ يَقْرُبُ مِنْكَ رَحِمًا. وَفُلَانٌ قَرِيبِي، وَذُو قَرَابَتِي. وَالْقُرْبَةُ وَالْقُرْبَى: الْقَرَابَةُ"[1].

ويقول ابن منظور: القَريبُ والقَرابَة والقُرْبَى: الدُّنُوُّ فِي النَّسب، والقُرْبَى فِي الرَّحِم، وَمَا بَيْنَهُمَا مَقْرَبَةٌ ومَقْرِبَة ومَقْرُبة أَي قَرابةٌ. وأَقارِبُ الرجلِ، وأَقْرَبوه: عَشِيرَتُه الأَدْنَوْنَ[2].

وقال ابن حجر مبينا معنى القرابة: "والأرحام جمع رحم، وذوو الرحم الْأَقَارِبُ، يطلق على كل من يجمع بينه وبين الآخر نسب"[3].

قلت: إنّ مفهوم القرابة لا يقتصر على المحارم ، كما يظن بعض الناس، فالنصوص الكريمة التي دعت إلى صلة القربى وحسن معاملتهم، نجدها وردت بصيغ العموم، ولم يرد في ذلك تخصيص كما قال تعالى في سورة الإسراء﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾(الإسراء:26).

المطلب الثاني: أهمية ذوي القربى

بعد أن انتهت السورة بالعناية بالوالدين، انتقلت السورة مباشرة إلى دائرة القربى بالإحسان الأقارب وهي الدائرة الأوسع التي ينبغي أن يسودها السلام الاجتماعي، وتدوم فيها علاقة التراحم والتواصل ليكون المجتمع سليما متماسكا، وإنّ من اختار القرآن منهجاً؛ فعليه أن يتعامل مع ذوي القربى كما رسم له القرآن الطريق قال تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ الإسراء:26). لقد عني القرآن عناية كبيرة بذوي القربى كما بينت لنا سورة الإسراء، فقد أوصت

---

[1]- ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة** باب القاف مع الراء وما يثلثهما، مادة قرب (80/5).

[2] -ابن نظور: **لسان العرب**، حرف الباء فصل القاف (665/1). بتصرف

[3]- ابن حجر : **فتح الباري** (527/6).

الآيات الكريمة بهم مباشرة بعد الوصية بالوالدين، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ (الإسراء:23) ثم قال تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ الإسراء:26).لما لهم من المكانة لاتصالهم المباشر بالوالدين.

ونلاحظ الجمال البلاغي في قوله تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (الإسراء:26)، حيث قال {وآت} ولم يقل "وأعط ذا القربى" لأن الفعل آت يفيد فعل العطاء، فهو لفظ أعم، وهذا العطاء المأمور به؛ هو حق للمأمور؛ بإتيانه مما يملك من المال.

يقول فخر الدين الرازي: اعلم أن حق ذي القربى كالتابع لحق الوالدين لأن الإنسان إنما يتصد به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين والاتصال بالوالدين مقدم على الاتصال بذي القربى، فلهذا أخر الله ذكره عن الوالدين والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والأُلفة والرعاية والنصرة[1].

و قال رشيد رضا:" ولما كان حب الوالدين للأولاد بمكانة من القوة لا يخشى زوالها، ترك النص على الإحسان بهم وثنى بالإحسان بمن دونهم في النسب، فقال:(﴿ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾)".[2]

والإحسان إلى الأقارب يُقوّي أواصر المحبة، ويؤلف القلوب، وعند ذلك يظهر التراحم والتعاطف والتعاون وإزالة الأضغان. يقول المراغي:" الإحسان إليهم مما يقوّى الروابط بينهم. فما الأمة إلا مجموعة الأسر والبيوت، فصلاحها بصلاحها وفسادها بفسادها، ومن لا بيت له لا أمّة له، ومن قطع لحمة النسب فكيف يصل ما دونها، وكيف يكون جزءا من الأمة، يسرُّهُ ما يسرُّهَا ويؤلِمُهُ ما يؤلمُها، ويرى في منفعتها منفعته، وفي مضرتها مضرته ونظام الفطرة قاض بأن صلة القرابة أمتن الصلات، وجاء الدِّين حاثًا عليها مؤكدًا لأواصرها، مقوّيًا لأركانها، مقدمًا لحقوقها على

---

[1]- الرازي: **مفاتيح الغيب** (587/3) بتصرف.

[2]- رضا: **تفسير المنار** (304/1).

سائر الحقوق بحسب درجات القرابة"[1]. وهذا فيه إشارة إلى أن ما يبذله الإنسان لهؤلاء الجماعات هو حقّ لهم عنده فإذا أداه لهم فإنما يؤدي دينا عليه[2].

فصلة الأقارب أوجبها الله على عباده؛ و سيُسألون عنها يوم القيامة، وقد بين الله ذلك، وهي من مسئوليات الفرد التي أوجبها الله، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الإسراء:13)، يحاسب حينها عن كل أفعاله وأقواله وعن تصرفاته كلها، ويختار منها ما يشاء من غير قيد؛ ولكنه مسؤول عن هذا الإختيار ويتحمل تبعة سلوكه، لقوله تعالى﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الإسراء:15). فلن يتحمّ عنك أحد شيئا، فأنت صاحب الإختيار ونتجيته عليك؛ فإن كان خيرا، فخير، وإن كان شرا، فشر. والمخالف لهذه الوصايا الربانية، هو مخالف لأمر الله، مخالف لهذا القرآن الذي فيه الهداية، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء:9).

المطلب الثالث: فضل صلة الأقارب والآثار المترتبة عليها

إنّ صلة الرحم مما أوصى الله بها، وقد جاءت هذه الوصية مباشرة بعد الوصية بالوالدين، وهذا له حكمة عظيمة، حيث يرشدنا الله إلى أنّ بر الوالدين يستمر بِصِلَةِ الرَّحم، ومن فضل صلة الرحم:

1 **السعة والبركة في العمر و الرزق:**

إنّ الرزق بيد الله وحده، يهبه لمن يشاء من عباده ويوسعه عليه، ويمنعه عمن يشاء من عباده ويضيقه عليه، بما فيه الصلاح للعبد في الدنيا والآخرة، وصلة الرحم من أسباب السعة والبركة،

---

[1] -المراغي: **تفسير المراغي** (157/1) بتصرف.

[2] - الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (475/8).

كما بينت ذلك سورة الإسراء في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30).

قال الشوكاني:" أي: يوسعه على بعض ويضيقه على بعض لحكمة بالغة، لا لكون من وسع له رزقه مُكرّما عنده، ومن ضيقه عليه هائنا لديه"[1] قال سيد قطب:"وإنما يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر"[2].

قلت: قوله تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (الإسراء:26)، فيه إشارة وتنبيه للبخيل، كي لا يظن أن اهتمامه بأقاربه سيُنقص من ماله، بل هو واجب في ماله نحو قرابته، يعطيهم منه، فبيّنت الآية : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء:30) أن الله هو الذي يقدِّر الأرزاق، وفق سننه التي سنّها لعباده.

كما وبيّنت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فضل صلة الأقارب وما لها من فضل، وأنها توسع في الرزق والبركة، وتزيد في العمر، فقد جاء عن أنس بن مالك أنه قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ[3] فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"**[4].

وظاهر الحديث فيه تعارض مع قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف:34)، قال الإمام النووي:" فيه سؤال مشهور وهو أن الآجال

---

[1] - الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله اليمني ت 1250هـ: **فتح القدير**. ط1. بيروت: دمشق، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب (1414 هـ).

[2] - قطب : **في ظلال القرآن** (2223/4).

[3] - النسء:التأخير .يقال: نسأت الشيء نسأ، وأنسأته إنساء، إذا أخرته. ابن الأثير الجزري : **النهاية في غريب الحديث والأثر** (44/5)

[4] - البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق في صلة الرحم رقم5985و5986 (8/) مسلم: **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم2557 (1982/4).

والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34) ، فهل يوجد تعارض بين الآية والحديث؟ أجيب عن ذلك بأجوبة منها.

الأول: إن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (الرعد:39) فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث"[1].

وقد أجرى الألباني رحمه الله الحديث على ظاهره فقال: فالحديث على ظاهره، أي: أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً لطول العمر، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به؛ لأن هذا بالنظر للخاتمة، فكما أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته الطاعة ونقصانه المعصية، وأن ذلك لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ، فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب فهو لا ينافي ما كتب في اللوح أيضاً[2].

قلت: وهذا القول الأخير هو الراجح، فيكون معنى الحديث: من أحب أن يُبسط له في رزقه فيكثر ويوسع عليه ويبارك له فيه، أو أحب أن يؤخر له في عمره ، فيطول فليصل رحمه. فتكون صلة الرحم سببا شرعيا لبسط الرزق وسعته، وطول العمر وزيادته والتي لولاها لما كان هذا رزقه، ولا عمره – بتقدير الله تعالى وحكمته. - فلا مانع أن تكون الزيادة والنقصان على

---

[1] - النووي : **المنهاج شرح صحيح مسلم** (118/16).

[2] -انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ه ت: 256هـ: **صحيح الأدب المفرد**. حقق أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني. ط4. دار الصديق للنشر والتوزيع. (1418 هـ - 1997 م) (50/1). بتصرف

حقيقتها، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فالذي يصل رحمه يصله الله سبحانه وتعالى، وصلة الأرحام سبب في رحمة الله تعالى لعباده، وسبب في ظهور الخير بين الناس، وطول العمر، وسعة الرزق، فَصلْ من قطعك واعْط من حرمك واعفُ عمن ظلمك فإن صلة الأرحام من أعظم القربات إلى الله وأجلِّها، ولتعلم أن صلة الرحم سهلة يسيرة فقد تكون بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، أو بقضاء حوائجهم، والبسمة في وجوههم.

2 - من وصل رحمه وصله الله:

إنَّ للرحم شأنًا عظيمًا وأهميةً كبيرةً حرص القرآن على ذكرها فقال تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء:26) وكفى بها مكانةً وفضلاً أنَّ من وصل رحمه وصله الله تعالى، كما ورد في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ "** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾** (محمد: 22)".[1]

يقول ابن كثير:" وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال"[2].

ويقول الدكتور الزحيلي:" إن من الإفساد في الأرض، وتقطيع الأرحام، ما يوجب عليهم الطرد من رحمة الله، ومنع تسرب الخير والفكر الرشيد إلى قلوبهم"[3]، إن مبادئ الإسلام الاجتماعية

---

[1] - البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب الأدب ،باب من وصل وصله الله، حديث رقم5987 (8/5).

[2] - ابن كثير: **تفسير ابن كثير**(318/7).

[3]- انظر، الزحيلي: **التفسير الوسيط** (2443/3).

جاءت لبناء الجماعة المسلمة وأولى الناس بذلك الأقربون رحما وإن الإساءة إليهم أو أذيتهم؛ تدخل فاعلها مع الخاسرين الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

إن صلة الرحم من الأمور التي تقوي أواصر الأسرة والمجتمع، فتجعل منه مجتمعا تكافليا، قائما على التراحم فيما بينهم، ومن أراد مرضاة ربه والفوز بالآخرة؛ سعى لذلك من غير أن ينظر إلى عواقب الأمر، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإسراء:19) ونجد كثيرا من الناس من يصلهم قريبهم فيسيئون إليه، فيحلم عليهم ويصفح عنهم ويسامحهم، وهذا أجره عند الله عظيم كما في الآية الكريمة، وكما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقد جاء في الحديث الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ، **أَنَّ رَجُلًا**[1] **قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**[2] **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ"**[3].

فالحديث يبين أن من وصل قاطعه وحلم عليه بعد جهله فالله ناصره، وإنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم[4]، فصلة الرحم من العهد الذي أمرنا الله بالوفاء به، والأمر كله متعلق بصلاح العهد مع الله، فمن صلحت علاقته مع ربه حافظ على كل عهده مع الله، وعندها تصلح الأسر والمجتمعات.

---

[1]- مجهول : لم أقف عليه .

[2] - المَلُّ: الرَّمادُ الحارُّ، أي تَجعل وجُوههم كلوْن الرَّمَادِ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ سَفِفْتُ الدَّوَاءَ أَسَفُّه وأَسْفَفْتُه غَيْرِي: ابن منظور: **لسان العرب** فصل السين المهملة (153/9).

[3] -مسلم: **صحيح مسلم** كتاب البر والصلة والآداب،باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم 2558 (1982/4) :البخاري: **الأدب المفرد**، باب فضل صلة الرحم ، حديث رقم 27 (49/1).

[4] - النووي : **المنهاج شرح صحيح مسلم** ، باب تحريم التحاسد والتباغض (115/16) بتصرف : انظر : القاري : **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. 9مج. ط1. بيروت: دار الفكر، لبنان (1422ه -2002م).

المبحث الثالث

مراعاة حق المسكين وابن السبيل

المطلب الأول: التعريف بالفقير والمسكين وابن السبيل

قال الشافعي:" الفقير من لا مال له ولا حرفة يقع منه موقعا وللمسكين من له مال أو حرفة لا تقع منه موقعا ولا تغنيه سائلا كان أو غير سائل"[1] وقال ابن قتيبة:" إن المسكين هو الذي لا شيء له، والفقير هو الذي له البلغة من العيش"[2] وقال الأنباري:" الفقير الذي له بعض ما يقيمه، والمسكين الذي لا شيء له"[3].

قلت: قول الشافعي هو الراجح، لقوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ (الكهف:79) يعني أن أصحابها كانوا مساكين، لم يكن لهم مال غير تلك السفينة، فكانوا يعملون عليها، يأخذون أجرتها[4]والفقير الذي به زمانة لقوله تعالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ الحشر:8)،فهؤلاء خرجوا ولم يبق معهم شيء، فالفقير أكثر حاجة؛ لتقديم الفقراء على المساكين في صرف الزكاة كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ التوبة:60) والله أعلم.

---

[1] -الشافعي، أبوعبد الله محمد بن إدريس، ت 204هـ: **الأم**. 8مج. بيروت: دار المعرفة. د.ط. (1410هـ/1990م) (77/2).

[2] -ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت 276هـ: **غريب الحديث**. 3مج تحقيقد.عبد الله الجبوري. ط1. بغداد: مطبعة المعاني. (1397هـ)(191/1).

[3] - الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر ت: 328هـ: **الزاهر في معاني كلمات الناس**. 2مج. تحقيق د.حاتم صالح الضامن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1412هـ - 1992م) (127/1).

[4]- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، النيسابوري، الشافعي ت 468هـ: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**. 4مج. ط1. ت وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي. بيروت: دار الكتب العلمية. لبنان. (1415 هـ - 1994 م) (160/3).

أما ابن السبيل فهو:

المسافر الَّذي انقُطِع عين ماله وهو يريد الرجوع إِلى بلده ولا يجد مَا يتبلَّغ بِهِ[1].

المطلب الثاني: خطر الفقر

إن ظاهرة الفقر من أخطر الآفات التي تعصف بالمجتمعات قديما وحديثا وهي مرتبطة بتسلط الأغنياء وسعيهم الدائم للهيمنة ولذا نجد أنَّ سورة الإسراء أوصت الأغنياء بالاعتناء بالمسكين وابن السبيل قال تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: 27) ولمّا كانت سورة الإسراء تحدثت عن إفساد بني إسرائيل ناسب الأمر أن تعالج هذه السورة جميع الآفات التي تأصلت في بني إسرائيل خاصة والمجتمعات عامة، قال تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء:26)، ومن ضمن هذه الآفات الفقر؛ لأن انتشار الفقر خطره عظيم على العقيدة وعلى المجتمع، ولذلك ورد ذكر المسكين وابن السبيل بعد ذوي القربى لوجود علاقة مباشرة بينهما، سيّما أنّ الآيات مدارها حول المضامين الاجتماعية، فلا بد من وجود علاقة بينهما.

قال ابن عاشور:" و وَأَمَّا إيتاء المسكين فلمقصد انتظام المجتمع بأن لا يكون من أفراده من هو في بؤس وشقاء، على أن ذلك المسكين لا يعدو أن يكون من القبيلة في الغالب أقعده العجز عن العمل والفقر عن الكفاية. ، وأما إيتاء ابن السبيل فلإكمال نظام المجتمع، لأن المار به من غير بنيه بحاجة عظيمة إلى الإيواء ليلا ليقيه من عوادي الوحوش واللصوص، وإلى الطعام والدفء أو التظلل وقاية من إضرار الجوع والقر أو الحر"[2].

---

[1]- الأزهري : **تهذيب اللغة** (302/12).انظر: الفيومي: **المصباح المنير**(265/1).

[2] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (77/15-78).

ومظاهر خطر الفقر عديدة منها:

أولا: الفقر خطر على الدين:

لا شك أن الفقر من أخطر الآفات على الدين، وبخاصة الفقر المدقع، الذي بجانبه ثراء فاحش وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف هو العالة القاعد.الفقر حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون، وللارتياب في عدالة التوزيع الإلهي للرزق، فإذا لم يؤد الأمر إلى مثل هذا الضلال البعيد أدَّى إلى نظرة جبرية .

هذا الانحراف العقدي الذي قد ينشأ بسبب الفقر، الحاصل بسبب سوء التوزيع وقد يدفع بالبعض باعتناق النظرة الجبرية إلى الأمور وهي نظرة تتعارض مع عقيدة القرآن والسنة؛ فهو يُقنع نفسه بأن الفقر -وإن كان شراً وبلاء- فهو أمرٌ قد قضاه الله في السماء ولا يجدي معه الطب والدواء فقد أراد الله أن يفضل بعض الناس على بعض في الرزق ليبلوهم، وأنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء، من كلام حق يُراد به باطل، ويروَّج مترافقاً مع سياسات الإفقار ومخططات التجويع ليقنع الناس بالرضا والصبر ولا تنفرج أفواههم عن لفظة اعتراض ويسعى القوي فلا ينال بسعيه حظاً ويحظى عاجز ومهين ونظرة الجبرية هذه ينكرها الإسلام؛ لأنها تمثل عائقاً منيعاً أمام أي محاولة لإصلاح الأوضاع الفاسدة وتعديل الموازين الجائرة وإقامة العدالة المرجوة والتكافل الاجتماعي باعتبارها مبادئ إسلامية رئيسة.

ففرض الإسلام على الأغنياء في أموالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ولما احتج الجاحدون منهم بمشيئة الله وقدرته ردّ عليهم زعمهم ورماهم بصفة الضلال المبين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ ﴾(سورة يس: 47) إنهم في ضلال مبين؛ لأنهم لو عقلوا لعلموا أن الله قد أراد أن يرزق الناس بعضهم من بعض، وأن يتعاونوا على رد قدر الله من الفقر بقدر الله من التكافل وحسن توزيع الثروات وإيجاد فرص العمل وأسباب الرزق[1].

---

[1] - انظر: **الآثار المدمرة لسياسات الإفقار**،صفحة المقالات ، www.islamway.com. ياسين بن طه بن سعيد الشرجبي. بتصرف

ونلاحظ هنا أن معالجة الفقر مربوطة بالعبادة، حيث نرى أن الله عطف ذكرهم، كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء:26) قال الرازي:" إنه خطاب للكل والدليل عليه أنه معطوف على قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء: 23) والمعنى: أنك بعد فراغك من بر الوالدين، يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب الأقرب فالأقرب، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل"[1].

قلت: جاءت هذه السورة العظيمة لتصنع من الأمة جيلا مميزاً عباداً لله أولي بأس شديد، قال تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (الإسراء:5) وهؤلاء اختاروا لأنفسهم أن يكونوا عبادا لله يلتزمون أوامره ويجتنبون نواهيه ملتزمين بهذه المضامين الاجتماعية. بخلاف أمة بني إسرائيل الذين اختاروا لأنفسهم المخالفة لأمر الله، وهذه هي العبودية التي رسمتها لنا سورة الإسراء عبودية اختيارية، وحين يتأصل هذا المنهج في القلب (منهج العبودية الاختيارية) أفعالا وأقوالا وتصرفات، لا بد أن يظهر أثر هذه العبودية في منهج حياتنا المنعكس بتصرفاتنا وسلوكنا، فتصبح العلاقة علاقة إحسان وإصلاح يعود نفعها بالخير على المجتمع بأكمله، متمثلا بالوالدين والأقرباء والمساكين وكل طبقات المجتمع، وهذا السبيل لحفظ الدين من كل آفة قد تصيب المجتمع المسلم.

ثانيا: الفقر خطر على الأخلاق والسلوك :

إنّ الفقر اليوم يعد من أشد الأخطار التي قد تصيب الأمة في صميمها؛ لما يُحدثه من فساد في أخلاقها وانحراف في سلوكها، لذلك جاءت الآيات في سورة الإسراء لتحارب هذه الظاهرة، وتشدد عليها الخناق؛ لما لها من آثار سلبية تكون كفيلة بهدم المجتمع، لذلك أوصت سورة

[1]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (328/20).

الإسراء بالاهتمام بالفقراء والعناية بهم، وهو أحد الحلول التي وضعتها سورة الإسراء للتغلب على هذا الداء الفتاك، قال تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ الإسراء:26)؛ لأن الاعتناء بهم كفيل بإصلاح أحوالهم يقول الدكتور القرضاوي:" وإذا كان الفقر خطرا على الدين باعتباره عقيدة وإيمانا. فليس بأقل خطورة عليه باعتباره خلقا وسلوكا، فإن الفقير المحروم كثيرا ما يدفعه بؤسه وحرمانه -وخاصة إذا كان إلى جواره الطاعمون الناعمون - إلى سلوك ما لا ترضاه الفضيلة والخلق الكريم".[1] وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم خطر الفقر، ونعمة الصدقة في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ "**[2]، وعليه وجب على الأغنياء أن ينفقوا من أموالهم على الفقراء لسد فاقتهم، وحتى لا يكونوا عالة على المجتمع، فوجب عليهم النفقة مما آتاهم الله فيكفُّون بذلك حاجة المحتاجين، حتى نخرج بمجتمع متكافل على أسس إسلامية متينة. لذلك فرض الله على الموسرين أن يبذلوا من أموالهم للفقراء لسد فاقتهم وحمايتهم من الوقوع في الفاحشة والسرقة كما قال تعالى:﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الذاريات:19) وهذا المال قد جعله الله حقا للفقراء من أموال الأغنياء.

---

[1]- القرضاوي: **مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام** (ص15).

[2] -البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، حديث رقم1421(110/2): مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الكسوف، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، حديث رقم 1022(907/2).

ثالثا:الفقر خطر على الأسرة:

أن خطر الفقر على السلوك والأخلاق؛ ستعود نتائجه على الأسرة لأنه سيؤثر في تكوين الأسرة؛ لعدم القدرة، على تلبية حاجاتها ونجد هنا سورة الإسراء تسجل حقيقة تاريخية رهيبة وهي من أخطر ما تمر به الأسرة، وحقيقتها أن بعض الآباء قتلوا أولادهم فلذات أكبادهم خشية الفقر المتوقع، وهي جريمة يندى لها الجبين فلا عجب أن أنكرها القرآن وحذر منها أشد التحذير، فقال تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء:31) والإسلام بهذا يسجل أثر العوامل الاقتصادية في السلوك البشري.

ونرى النبي صلى الله عليه وسلم يرشد المسلمين إلى حل مشاكلهم بالتعاون فيقول: " **الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى، رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**".[1]**و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.**[2] فهذه دعوة إلى قوة التماسك والألفة والمحبة، وهي ذروة الوحدة.

فنرى سورة الإسراء تدعو إلى التعاون مع القريب المحتاج وأبناء المجتمع المسكين، كما بينت ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء:26).فلم تقتصر الآية على ذوي القربى، وإنما شملت المسكين وابن السبيل وهذا إن دل فإنما يدل على خطر الفقر ليس على الأسرة فحسب، وإنما الخطر سيطال المجتمع برُمّته؛ لأن عواقب الخطر عائدة في النهاية على المجتمع واستقراره، لأن التعاون والتكافل ورعاية الفقير في المجتمع؛ من شأنه أن يجعل من المجتمع مجتمعا آمنا تربطه المودة والرحمة.

---

[1] - مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم ،حديث رقم2586 (2000/4).

[2] - البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره،حديث رقم 481 (103/1). مسلم: **صحيح مسلم** كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم حديث رقم 2585 (1999/4).

المطلب الثالث: كيف عالجت سورة الإسراء مشكلة الفقر

إنّ البَونَ الشاسع بين الغني والفقير، أمر لا يمكن تجاهله، ولا إغفاله وقد وضع الإسلام قواعد عدة لمحو هذا البون بينهما، ودفعه بقدر الإمكان كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء:26) ففي ذلك حفاظ على الفقراء والمساكين، ولا يظن المنفق أن المال ماله، والله تعالى يقول ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الإسراء:30) وفي هذه الآية دليل على أّن الله هو صاحب الشأن، فهو الذي يوسع الرزق، والقادر على أن يأخذه ويقبضه عن صاحبه، وكما أن الله جعل أمة الإسلام؛ أُمة واحدة فقد جعل الله في أموالهم حقا للفقراء والمساكين، حتى نحظى بمجتمع مترابط متماسك؛ تربطه مصالح مشتركة ومتبادلة.

يقول الدكتور محمد بن أحمد الصالح: " إن الإسلام لم ينظر إلى الفرد بوصفه وحدة مستقلة عن المجتمع كما لم ينظر إلى حقوقه على أنها غاية في ذاتها بل اعتبر الفرد وحدة إنسانية تعيش في إطار اجتماعي وترتبط بغيرها ممن يشاركونها هذا العيش برباط المصالح المتبادلة والهدف المشترك باعتباره فردا اجتماعيا. وهذه الصفحة المزدوجة بين الفردية والاجتماعية تنعكس بالضرورة على حقوق الفرد فتنفي عنها صفة الفردية المطلقة بتحقيق المعنى الاجتماعي فيها كما تنفي عنها الصفة الجماعية المحضة، هذه المواءمة بين الفردية والجماعية التي أرساها الإسلام على قاعدة التكافل الاجتماعي بين الفرد والجماعة"[1]. هذا هو التكافل الصادق بين المسلمين، وهذه هي الحكم الرفيعة التي شرعها الإسلام في رعاية حق الفقراء والمساكين وأبناء السبيل. و هذا ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قَالَ: **"الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى، رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ".[2]وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[3].**

---

[1] - الصالح، محمد بن أحمد: **التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية.** ط2. (1413هـــ) (ص21).

[2] - **سبق تخريجه**(ص57).

[3] - **سبق تخريجه**(ص57).

ويقول محمد رشيد رضا:" إن الإسلام يمتاز على جميع الأديان والشرائع بفرض الزكاة فيه، ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم - بعد أن كثرهم الله، ووسع عليهم في الرزق - فقير مدقع، ولا ذو غرم مفجع، ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وملتهم وأمتهم فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالا في مصالحهم المالية والسياسية، حتى فقدوا ملكهم وعزهم، وصاروا عالة على أهل الملل الأخرى حتى في تربية أبنائهم وبناتهم"[1].

[1]- رشيد رضا: **تفسير المنار** (10 /443).

الفصل الثالث

المضامين الاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان

المبحث الأول: تحريم القتل

المبحث الثاني: تحريم قتل الأولاد

المبحث الأول

تحريم القتل

المطلب الأول: تكريم الإنسان

أكّد الله فى كثير من الآيات [1] على أنّه كرّم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات كلها، وتسخير الكون له، لما له من كرامة عند ربه وفضلٍ وشرفٍ ومن هذه الآيات ما ذكرته سورة الإسراء، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء:70) وقد ظهر هذا التكريم للإنسان في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في حادثة الإسراء، قال تعالى﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:1) ، فالإسراء بذاته يعد أعظم تكريم، وأي تكريم أعظم للرسول والمسلمين من هذا؟، وإنّ ذكر المضامين الاجتماعية في هذا السياق كرمٌ من الله عظيم بأن جعل للإنسان هذا التكريم، متمثلا ومتجسدا في شخص رسول الله. قال ابن عطية:" جعل الله لهم كرما، أي شرفا وفضلا، وهذا هو كرم نفي النقصان"[2].

يقول فخر الدين الرازي: اعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الإنسان، وهي الأشياء التي بها فضل الإنسان على غيره. وقد ذكر الله تعالى منها قوله: {ولقد كرمنا بني آدم} وهو أن الإنسان جوهر مركب من النفس، والبدن فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في هذا العالم ، وأن النفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة فيه[3].

---

[1] -الزين ، سالم : **المعجم المفهرس لمعاني القرآن** ، مادة بحر (186/1) مادة بر (187/1).

[2] - ابن عطية**: التفسير الوجيز** (472/3).

[3]- انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب** (372/21). بتصرف

قلت: وأعظم تكريم من الله لهذا الإنسان هو حفاظه عليه والتحذير من المساس به، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء:33)، فمتى أُزهقت الروح لا بقاء ولا تكريم لها، وفيه اعتداء صارخ على من كرّمها، والمجتمعات اليوم لا تُعنى بكرامة الإنسان بتاتًا، والتاريخ والأحداث التي تمر بها الأمة أكبر دليل على ذلك، فلم يعد للإنسان كرامة، فالقتل أصبح أمرا طبيعيا عند من يمارسون هذه الجريمة النكراء، إما طمعا بمنصب وجاه، أو تمسكا بهما، أو جراء حبهم للمال الذي يعمي قلوبهم، فأصبح القتل عندهم أهون الأمور.

لذلك جاءت سورة الإسراء من خلال مضامينها الاجتماعية، حتى تبين أن للإنسان كرامة، وأن هذه الكرامة هبة من الله لمخلوقه، فلا بد أن تصان ولا بد أن يكون لها قيمتها التي ميزها الله بها في غير موضع من كتاب الله. وإن إزهاق روح واحدة، إزهاق للبشرية جمعاء، كما قال تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:32).فمن تكريم الإنسان الحفاظ عليه، وعدم التعرض له، وهذا من باب بيان عظم هذه الجريمة، فمن عظمها جعل الله قتل نفس؛ قتلا للبشرية، مما يعظم هذه النفس في القلوب، والترهيب من التعرض لها.

المطلب الثاني: موقف القرآن من جريمة القتل

جريمة القتل من أخطر الجرائم التي تدمر المجتمعات، واعتبر قتل النفس بغير حق كمن قتل الناس جميعا، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة:32) وقد نهى

الله عنها في قاله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:33) يقول فخر الدين الرازي: اعلم أنّ الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة، والحِّ إنّما يثبت بسبب عارضي، فلما كان الأمر كذلك لا جرم نهى الله عن القتل مطلقا بناء على حكم الأصل، ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهو عند حصول الأسباب العرضية **فقال**: إلا بالحق، فنفتقر هاهنا إلى بيان أن الأصل في القتل التحريم، والذي يدل عليه وجوه: **الأول**: على أن القتل ضرر والأصل في المضار الحرمة : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:33)، **الثاني**: إنّ الآدمي خُلق للاشتغال بالعبادة لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: 56)، **ولقوله عليه السلام: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"**[1] والاشتغال بالعبادة لا يتم إلا عند عدم القتل **الثالث**: أن القتل إفساد فوجب أن يحرم لقوله تعالى:{ ولا تفسدوا} (الأعراف: 85) . **الرابع**: أنه إذا تعارض دليل تحريم القتل ودليل إباحته فقد أجمعوا على أن جانب الحرمة راجح، ولولا أن مقتضى الأصل هو التحريم وإلا لكان ذلك ترجيحا لا لمرجح وهو محال. السادس: أنا إذا لم نعرف في الإنسان صفة من الصفات إلا مجرد كونه إنسانا عاقلا حكمنا فيه بتحريم قتله، وما لم نعرف شيئا زائدا على كونه إنسانا لم نحكم فيه بحل دمه، ولولا أن أصل الإنسانية يقتضي حرمة القتل، وإلا لما كان كذلك فثبت بهذه الوجوه أن الأصل في القتل هو التحريم. وأن حله لا يثبت إلا بأسباب عرضية.

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الجهاد والسير ،باب اسم الفرس والحمار ،حديث رقم 2865 (29/4). :مسلم : **صحيح مسلم** : كتاب الإيمان ،باب من لقي الله بالإيمان ،حديث رقم 30 (58/1).

وإذا ثبت هذا فنقول: إنه تعالى حكم بأن الأصل في القتل هو التحريم فقال: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فقوله: ولا تقتلوا نهي وتحريم، وقوله: حرم الله إعادة لذكر التحريم على سبيل التأكيد، ثم استثنى عنه الأسباب العرضية الاتفاقية فقال: إلا بالحق.[1]

ويقول عبد المحسن السلمان:" إن القتل من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب وأشد الآثام بل هو أغلظها جميعا بعد الإشراك بالله وما زال الناس يرون أن جريمة القتل من أكبر الجرائم وذلك أنها سلب لحياة المجني عليه بغير حق وتيتيم لأولاده وترميل لنسائه وحرمان لأهله وأقاربه وإضاعة لحقوقه، وأنت إذا تتبعت المعاصي معصية معصية لا تجد لواحدة منها فسادًا يساوي فساد القتل لأن الإنسان إذا مات ومُحي من الوجود ذهب كله ولذلك كانت هذه الكبيرة تلي الشرك بالله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ"**[2] وأيضا جريمة القتل مزعزعة للمجتمعات من هدوء الحياة واستقرارها وأيضا هدم لعمارة شادها الله تتكون منها ومن أمثالها العمارة لهذا الكون، وهذا القرآن الكريم قد حدثنا عن أول اعتداء وقع من الإنسان على أخيه الإنسان، وصور لنا كيف كان القاتل والمقتول كلاهما يعدان القتل جريمة آثمة تستوجب غضب الله وعقابه وأن القاتل لشعوره بهذا كان يعالج في نفسه الإقدام على هذه الجريمة علاج الكاره المتحرج قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المائدة:30)"[3].

---

[1]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (333/20- 334) بتصرف.

[2]- البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب الأيمان والنذور،باب اليمين الغموس، حديث رقم6675 (137/8).

[3] - انظر : السلمان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ت 1422هـ: **موارد الظمآن لدروس الزمان**. 6مج. ط30. (1424 هـ) (74/5) بتصرف.

ويقول سيد قطب رحمه الله: إن قصة قابيل مع أخيه، تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له. و تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، كل منهما يتصرف وفق طبيعته وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل، تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام عن الجريمة فإذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وجد الجزاء العادل، المكافئ للفعلة المنكرة كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه. فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش، وأن تصان، وأن تأمن في ظل شريعة عادلة رادعة[1]. قال الزحيلي:" الحق في الحياة حق مقدس فلا يجوز سفك دم حرام، أو الاعتداء على إنسان بغير مسوغ ولا سبب مشروع لأن الإنسان صنيعة الله في هذا العالم، وكل اعتداء عليه اعتداء على فعل الله وتجاوز لحكمته وتحدّ لإرادته"[2].

ولنا أن نسأل سؤالا ما علاقة قتل النفس بقوله تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء:23) ؟ ولم عطف القتل بعد أن أمر بالعبادة؟

أجاب الإمام الرازي قائلا: " إن الآدمي خلق للاشتغال بالعبادة لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ (الذاريات: 56).

---

[1]- قطب: **في ظلال القرآن** (874/2 -875) بتصرف.

[2]- الزحيلي: **التفسير الوسيط** (450/1).

والاشتغال بالعبادة لا يتم إلا عند عدم القتل، وأن القتل إفساد فوجب أن يحرم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الأعراف: 85) "[1].

فنقول إنّ صلاح الدين، لا يكون إلا بصلاح المجتمع من آفاته التي تلم به، وتعصف به من كل جانب، فالعبادة مقرونة بالتخلص من هذه الآفات، ومنها جريمة القتل، التي تَقضُ أركان المجتمع وتجعله مجتمعًا غوغائيًا، لا ضوابط له، فلذلك عطف الله القتل على عبادته؛ حتى يبيِّن لنا أن العبادة لن تصلح بوجود هذه الجرائم وهذه المهلكات، ولن يكون الخير ولن تكون السماحة بوجودها، فالقتل هو نموذج حي لطبيعة الشر التي يتمتع بها البشر؛ لذا استنكر القرآن العظيم أول جريمة قتل حدثت في الدنيا، وهي قتل قابيل لأخيه هابيل.

المطلب الثالث: حفظ النفس وتحريم قتلها في الشريعة

لقد جعل الإسلام حفظ النفس وصيانتها من مقاصد الشريعة[2]، فالإسلام يربي هذه النفس على الربط بين ذكر الله وعبادته، شريطة أن تكون هذه المصالح نفسها عوناً على ذكر الله وجانب الله فيها مرعيٌّ، وعلى أن لا تكون مصالح الدنيا سببًا في إغفال ما يربي النفس ويزكِّيها ويسمو بها ويطهِّرها، فحافظ الإسلام على النفس البشرية وحرم قتل النفس بغير حق، في كثير من الآيات[3] في كتاب الله وهذا ما بينته سورة الإسراء في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾ (الإسراء:33).

---

[1] الرازي : **مفاتيح الغيب** (333/20).

[2] - حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ المال وحفظ العرض وحفظ العقل. انظر : الآمدي ، أبو الحسن سيد الدين ت 631هـ: **الإحكام في أصول الأحكام.** 8مج. تحقيق عبد الرزاق عفيفي. بيروت - دمشق: لبنان، المكتب الإسلامي. (274/3).

[3] - انظر : الزين :سالم **: المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم** ، مادة قتل (914/2-915).

قلت: وحرمة الدماء متعلقة في تكريم الله لهذا الإنسان، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: 70)، فقد جعل الله لهذا الإنسان حرمة، وقتله تعدٍ صارخ على حرمات الله، ويتبدّى لي وجه مناسبة هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء:33)، وكأن الله يقول لنا، لم القتل؟ وأنا الذي خلقت هذا الإنسان وكرمته ، و قد يكون من أحد أسباب القتل النزاع على الرزق، فلم القتل؟ وأنا الذي أرزقكم من الطيبات، وأنا الذي أُقسِّم الأرزاق، وهذا كله يفسره قوله تعالى في هذه السورة العظيمة، قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30).

المطلب الرابع: كيف عالجت سورة الإسراء هذه الجريمة

أولا: التحذير الشديد من الوقوع في هذه الجريمة:

لقد عنيت سورة الإسراء بجريمة القتل، وقد عدّها القرآن فاحشة، وذلك من خلال النهي عنها والوعيد الشديد على مرتكبها، وحذرت السورة منها أيَّما تحذير، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:33) فقد بينت الآية حرمة القتل إلا بالحق، قال الطبري: وحقها؛ بينةٌ من الله عز وجل أنزلها يطلبها ولي المقتول، العقل، أو القود، وذلك السلطان"[1].فكما أن الله قد حرَّم هذه الجريمة بغير الحق وظلما، فقد أجازه بالحق، وفي ذلك استمرار الحياة كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (البقرة:179) وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الجريمة، وما على

[1]- الطبري : **جامع البيان** (440/17) بتصرف.

من سنَّها من كفل ووزر، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا**[1]؛ لأن ابن آدم أول من سنَّها فعليه وزرها، لذلك يحرم قتل النفس وهو اعتداء على أوامر الله، والقتل دمار للمجتمع يوقع فيه بين أهله العداوة والبغضاء والفرقة والكراهية، ويثير النزعة القبلية التي تثور عصبيتها للانتقام أخذا بالثأر، والذي من شأنه أن يدخل الفئات المتقاتلة في شلال من الدماء لا تُعرف له نهاية.

ثانيا: تربية المسلم على مخافة الله:

إنّ تربية المسلم على مخافة الله عزّ وجل ، كفيلة أن تجعل بينه وبين انتهاك حرمات الله برزخا وحجابا، مما يجعله يعلم أن حرمة دم المؤمن عند الله عظيمة، فلا يقرب حرماته، وهذا يكون بهداية من الله، كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء:97)، وعندها يعلم المسلم أن مخالفة أوامر الله وانتهاكها يترتب عليها الخزي والعار يوم القيامة، وأن مآله الى النار، فيقوي ذلك الخوف في قلبه من الله.

[1]- البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم ، حديث رقم 3335 (133/4).

المبحث الثاني

تحريم قتل الأولاد

المطلب الأول: نعمة الأولاد

إنَّ الأولاد من أعظم النعم التي منّ الله بها على عباده، وقد بين القرآن أنهم زينة الحياة الدنيا، قال تعالى﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (الكهف:46) ولكن كثيرا من الناس في الجاهلية الأولى وفي جاهلية هذا الزمان لا يدركون هذه النعمة، التي بها تستمر الذرية، وفيها استمرار الحياة، فنجد أن الأولاد مشردون ولا نجد من يضمهم، وقد فُقدت الرحمة بهم لكن النبي صلى الله عليه وسلم علمنا كيفية الحفاظ على هذه النعمة العظيمة، وترجمتها إلى أعمال فعنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **جَاءَ أَعْرَابِيٌّ[1] إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ"**[2]. والحديث واضح الدلالة على أن من لا يداعب أولاده، ويقبلهم ويلاطفهم فقد نُزعت الرحمة من قلبه، فلا يدرك نعمة الله عليه بأن رزقه الولد، ونراه يعرض عن هذه النعمة ويتآى بجانبه كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ (الإسراء:83)، أي أنعمنا عليه من كمال الفضل والنعم. قال العاني :" بأن وسعنا طرق خيرنا عليه، فأعطيناه رحمة كاملة ومالا كثيرا وجاها وسلطانا وأولادا"[3].

ولكننا نرى في المقابل؛ آباء يضحون من أجل أبنائهم، فتُغرس في قلوب الأبناء المحبة للوالدين.

يقول الدكتور السلمان:"وكثيرا ما يضحي الوالدان براحتهما في سبيل راحة الأبناء والبنات، والطفل يعرف أمه ويحبها قبل كل أحد فإذا غابت صاح حتى تأتيه وإذا أعرضت عنه دعاها

---

[1] - قيل هو الأقرع بن حابس رضي الله عنه. وقيل غيره:البخاري : **حاشية صحيح البخاري** ، تعليق مصطفى البغا (1808/4).

[2] - البخاري : **صحيح البخاري** ،كتاب الأدب ،باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم 5998(7/8).

[3]- العاني، عبد القادر بن ملّا حويش آل غازي ت 1398هـ، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي دمشق ،ط1 (1382ه) (554/2).

وناحها[1] بما يقدر عليه من كلام أو غيره وإذا أصابه شيء يؤلمه استغاث وناداها، يظن أن الخير كله عندها وأن الشر لا يخلص إليه ما دامت تضمه على صدرها وترعاه بعينها وتذب دونه بيديها".[2]

وهذا نبي الله يعقوب يتفطر قلبه حزنا على ابنه يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾يوسف:83 84) ونرى نوحا عليه السلام ينادي ابنه وهو يلاطم الطوفان قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (هود:42) إنه يرجو إيمان ابنه ويناشده الرجوع إلى الله؛ ليكون مع المؤمنين الناجين، هذا دأب الأنبياء مع أبنائهم؛ أليس بعد هذه النعمة التي رزقنا الله إياها، أن نحفظها ونحن الذين ائتمننا الله عليها، أليس من الحري بصاحب هذه الأمانة والنعمة أن يحافظ عليها ويكون شاكرا لله غير جاحد؟

المطلب الثاني: تحريم قتل الأولاد خشية الفقر

لقد بيّنا أن الأولاد نعمة من الله كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (الإسراء:83) فإذا كان الولد نعمة من الله وهبها لعباده، فقد جاءت سورة الإسراء تحذر من المساس بهذه النعمة، قال تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

---

[1]- النَّوْحُ: مصدر ناح يَنوحُ نَوْحاً. و يقال: نائحة ذات نياحة والنَّوائح: اسم يقع على النِّساء يَجْتَمِعْنَ في مَناحة. انظر: الفراهيدي: **العين**، باب الحاء والنون، (304/3).

[2]- السلمان : **موارد الظمآن لدروس الزمان** (415/3-417).

(الإسراء:31) ، فكما أن الله أوصى ببر الوالدين، ورعايتهما، أوجب رعاية حقوق الأولاد وجعل العدوان عليهم من أشدّ الذنوب.

قال الطبري: لقد نهى القرآن عن القتل خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله[1].

لقد نسي هؤلاء وتغافلوا عن قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30) فالرزق قد تكفل الله به، فهو الذي يوسع في الرزق ويضيق فيه، والمولود يأتي رزقه معه، وبذلك ندرك الحكمة الربانية من تقديم هذه الآية على آية قتل الأولاد. وفي هذا النظم وجوه.

قال الرازي:" لوجه الأول: أنه تعالى لما بيّن في الآية الأولى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد حيث قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الإسراء: 30) أتبعه بقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ ﴾ (الإسراء:31). الوجه الثاني: أنه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة علم في هذه الآية كيفية البر بالأولاد، ولهذا قال بعضهم: إن الذين يسمون بالأبرار إنما سموا بذلك لأنهم بروا الآباء والأبناء وإنما وجب بر الآباء مكافأة على ما صدر منهما من أنواع البر بالأولاد وإنما وجب البر بالأولاد لأنهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين. ن امتناع الأولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم، لأن الآباء إذا علموا ذلك قلت رغبتهم في تربية الأولاد، فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه، فثبت أن عمارة العالم إنما تحصل إذا حصلت المبرة بين الآباء والأولاد من الجانبين.

[1]- الطبري : **جامع البيان** (436/17) بتصرف.

الوجه الرابع: أن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضد الشفقة على خلق الله تعالى وكلاهما مذموم. والله أعلم.

الوجه الخامس: أن قرابة الأولاد قرابة الجزئية والبعضية، وهي من أعظم الموجبات للمحبة فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلظ شديد في الروح، وقسوة في القلب، وذلك من أعظم الأخلاق الذميمة، فرغب الله في الإحسان إلى الأولاد إزالة لهذه الخصلة الذميمة"[1] فتناسب ذكر الآيات كما وردت في السورة، حتى تبين أن الأولاد لا ولن يكونوا يوما سببا في الفقر، ولا حجة للناس في وأد أبنائهم وقتلهم بحجة خشية الفقر؛ لأن الله هو رازقهم، وهو الذي يقسم الأرزاق، وهو الذي يرزق الآباء والأبناء.

يقول أبو السعود: وهي تكليفٌ متعلق بحقوق الأولادِ عقّب به التكليفَ المتعلقَ بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد مّنْ إملاق أي من أجل فقرٍ كما في قوله تعالى {خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ } وقيل: هذا في الفقر الناجزِ وذا في المتوقَّع وقوله تعالى { نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ } استئنافٌ مَسوقٌ لتعليل النهي وإبطالِ سببيةِ ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمانٌ منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقرَ بناءً على عجزكم عن تحصيل الرزق[2].

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم عِظم هذا الجُرم، في حديث **عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لله ندا وهو خلقك". قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: "أن تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ". ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا**

---

[1] الرازي : **مفاتيح الغيب** (330/20).

[2] - أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** (198/3) بتصرف.

﴿ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الفرقان:68) [1].

قال ابن بطال:" إنما جعل النبي قتل الولد خشية أن يأكل مع أبيه أعظم الذنوب بعد الشرك؛ لأن ذلك يجمع القتل وقطع الرحم ونهاية البخل وإنما ذكر البخاري هذا الحديث بإثر باب رحمة الولد وتقبيله؛ ليعلمنا أن قتل الولد خشية أن يأكل مع أبيه من أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك به، فإذا كان كذلك فرحمته وصلته والإحساس إليه من أعظم أعمال البر بعد الإيمان"[2].

ولم يكتف القرآن بتحريم قتل الأولاد، بل وصفه بأنه خِطأ كبير، والسؤال هنا: لماذا قال الله خِطأ(بكسر الخاء) ولم يقل خَطأ (بفتح الخاء)

قال الماوردي مجيبا على هذا التساؤل: الخِطءُ العدول عن الصواب بعمد ، والخطأ العدول عنه بسهو الثاني: أن الخِطء ما كان إثماً والخطأ ما لا إثم فيه[3].

قلت: والقول الأول دليل على أن قتل الأولاد مقصود لذاته عن عمد وسبق اصرار، والقول الثاني ما وقع سهوا من غير قصد مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾ النساء:92).

ويقول الكَرَجي: لا يجوز قتل الأولاد جميعا، من خشي الإملاق منهم ومن لم يخش، من قوله على إثر الكلام:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:33)[4]. فيكون الكلام لا يجوز قتل الأولاد بسبب الإملاق أو غيره.

---

[1] -البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى :{ولا تجعلوا لله أندادا} حديث رقم 4477(18/6) ، مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ،باب كون الشرك أقبح الذنوب ، حديث رقم 86 (90/1).

[2]- ابن بطال : **شرح صحيح البخاري** (9/ 214).

[3]- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت450هـ: **النكت والعيون** . 6مج. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية (240/3) بتصرف.

[4]- الكَرَجي ، أحمد محمد بن علي القصَّاب ت، نحو 360هـ: **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام** 4مج، ط1، دار القيم - دار ابن عفان (1424ه).(394/1) بتصرف.

المطلب الثالث: الاختلاف بين آيتي الأنعام و الإسراء

لقد حذر الله سبحانه من قتل الأولاد في موضعين من كتابه العزيز، إلا أنه ورد اختلاف واضح بينهما في النظم في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء:31)؛ والتي نحن بصددها، وبين آية الأنعام﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ الأنعام:151) حيث نلاحظ :أولا: إن آية الإسراء جاءت بلفظ خشية إملاق؛ بينما نجد آية الأنعام وردت بلفظ من إملاق، فما سر هذا التغاير؟

يقول السنيكي: "يظهر سر الاختلاف في الآيتين في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ (الأنعام:151) وقوله تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء:31) لأن ظاهر قوله في الأنعام "منْ إملَاقٍ " أي فقر، أن الإملاق حاصلٌ للوالديْنِ المخاطبين لا توقُّعُهُ فبُدىء بهم، وظاهر قوله في الإسراء " خشيَةَ إملاق " أن الإملاق متوقّعٌ بهم وهم موسرون، فبُدىء بالأولاد"[1].

ثانيا: أن آية الأنعام جاءت {نحن نرزقكم وإياهم} بينما جاءت آية الإسراء ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ، فما سر التغاير؟

لقد بين ابن حيان سر هذا التغاير فقال: بدأ أولا بقوله: نحن نرزقكم خطابا للآباء وتبشيرا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق، ثم عطف عليهم الأولاد. وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون وأن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه فبدئ فيه بقوله: نحن نرزقهم إخبارا بتكفُّله تعالى برزقهم فلستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الآباء[2].

---

[1]- السنيكي : زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ت: 926هـ، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، ت، محمد علي الصابوني، ط1، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، (1403 هـ) (181/1) بتصرف.

[2]- ابن حيان : **البحر المحيط** (687/4) بتصرف.

وقال محمد رشيد رضا: الجملة في آية الأسراء تعليل للنهي، فقدم رزق الأولاد هنالك على رزق الوالدين بخلاف ما في آية الأنعام، لأنه متعلق بالفقر المتوقع في المستقبل الذي يكون الأولاد فيه كبارا كاسبين. وقد يصير الولدون في حاجة إليهم لعجزهم عن الكسب بالكبر. ففرق في تعليل النهي في الآيتين بين الفقر الواقع والفقر المتوقع، فقدم في كل منهما ضمان الكاسب للإشارة إلى أنه تعالى جعل كسب العباد سببا للرزق خلافا لمن يزهدونهم في العمل بشبه كفالته تعالى لرزقهم[1] ، وصارت الآيتان مفيدتين لمعنيين. أحدهما: أن الآباء نُهُوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم. والآخر: أنهم نهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقع الإملاق وخشيته وحمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد[2].

المطلب الرابع : كيف عالجت سورة الإسراء هذه الجريمة

مما تقدم في الحديث عن قتل الأولاد، تبدّى لنا جليا أنها جريمة بشعة، وكما أن القرآن الكريم قد اهتم بهذه الجريمة وحذر منها أيَّما تحذير، لم تدعنا سورة الإسراء نقف منها موقف الحيران اليائس، بل أوجدت لها الحل في أجمل وأبهى ثوب من خلال قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30)، فلما كان قتل الأولاد إنما من أجل خشية الفقر بيّن الله لهم العلاج، وأنه أخبر بحالهم، وما يتوافق مع مصالحهم وأن المسألة لا تتعلق بالأولاد.

يقول الفخر الرازي: والرب هو الذي يربي المربوب ويقوم بإصلاح مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض، فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل، بل لأجل رعاية المصالح[3].

فالأمر متعلق بالاستسلام لقدر الله، وحسن الظن فيه، أن ما يختاره لعباده إنما لهم في ذلك صلاح الدنيا والآخرة، وعلى الآباء أن يكونوا على ثقة تامة بتقدير الله، وهذا من تمام العبودية، وأن لا

---

[1]- رضا رشيد : **تفسير المنار**(164/8) بتصرف.

[2]- ابن حيان : **البحر المحيط** (687/4).

[3]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (330/20) بتصرف.

يكونوا تبعا لوساوس الشيطان؛ الذي يحول بينهم وبين اتباع الحق، وبين السير على نهج كتاب الله، وتطبيقه في سلوكهم وحياتهم، قال تعالى﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء:53)، وهنا يظهر من اتخذ من القرآن منهجا؛ فيحسم الحرب التي بينه وبين الشيطان كما قال تعالى في نفس السورة:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ الإسراء:65)، هؤلاءالعباد جعلوا من القرآن منهجا لهم، يسيرون وفقه وجعلوه العلاج الأمثل لكل داء يصيبهم وكل آفة تضربهم، فلم يجعلوا للشيطان عليهم سبيلا ومن كانت هذه حالهم فإن الحرب بينهم وبين عدوهم نتيجتها محسومة .

الفصل الرابع

المضامين الاجتماعية المتعلقة بالآفات التي تهدد استقرار المجتمع

المبحث الأول: آفة الإسراف و التبذير

المبحث الثاني: آفة البخل

المبحث الثالث: آفة الزنا

المبحث الرابع: حرمة مال اليتيم والنهي عن قرب ماله

المبحث الخامس: آفة خيانة العهد

المبحث السادس: آفة عدم الوفاء بالكيل و الميزان.

المبحث السابع: آفة الكبر

المبحث الأول

آفة الإسراف و التبذير

المطلب الأول: تعريف الإسراف و التبذير

أولا: تعريف الإسراف:

الإسراف: من مادة "سرف" وعرفه ابن فارس فقال:" السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضا للشيء تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر"[1].

وقال الجرجاني:"الإسراف: تجاوز الحد في النفقة"[2].

وقال الراغب الأصفهاني:"السَّرَفُ: تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ (الفرقان:67)

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا ﴾(النساء: 6) ويقال تارة اعتبارا بالقدر، وتارة بالكيفيّة "[3] .

قلت: فالإسراف إذاً هو مجاوزة الحد والقدر في النفقة والفعل.

ثانيا : تعريف التبذير:

التبذير: قال ابن فارس:" (بذر) الباء والذال والراء أصل واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه. يقال: بذرت البذر أبذره بذرا، وبذرت المال أبذره تبذيرا"[4].

---

[1]- ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** ، مادة سرف (153/3).

[2]- الجرجاني ، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي ت: 427هـ ـ: **التعريفات.** ضبطه وصححه جماعة من العلماء. بإشراف الناشر. ط1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (1403هـ -1983م). ، باب الألف (24/1).

[3]- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت 502هـ: **المفردات في غريب القرآن.** تحقيق صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق. بيروت. (1412 هـ).، مادة سرف (407/1).

[4]- ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** ، مادة بذل (216/1).

وعرفه الإمام الزمخشري فقال: "بأنه تفريق المال فيما لا ينبغي. وإنفاقه على وجه الإسراف"[1].

وعرفه ابن الجوزي فقال:"أنه إنفاق المال في غير حق، وأنه الإسراف المتلفِ للمال"[2].

الفرق بين الإسراف و التبذير:

قال الكفويّ: "الإسراف: هو صرف فيما لا ينبغي زائدا على ما ينبغي، أمّا التّبذير فإنّه صرف الشّيء فيما لا ينبغي والإسراف تجاوز في الكمّيّة إذ هو جهل بمقادير الحقوق، والتّبذير تجاوز في موضع الحقّ، إذ هو جهل بمواقعها (أي الحقوق) ، يرشد إلى هذا قول الله سبحانه في تعليل (النّهي عن) الإسراف {**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(الأنعام: 141) ، وقوله عزّ وجلّ في تعليل النّهي عن التّبذير: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء: 27)، فإنّ تعليل الثّاني فوق الأول"[3] كما أنّ بين الأمرين عموما وخصوصا إذ قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحيانا وقد ينفرد الأعمّ وهو الإسراف[4].

قلت: التبذير أخص من الإسراف، لأن التبذير يستعمل في إنفاق المال على وجه الإسراف في غير حق، والإسراف أعم من ذلك لأنه تجاوز للحد في الإسراف، سواء أكان في الأموال أم في غيرها. فيكون تبذير المال تفريقه إسرافا، وهو إفساد للمال.

المطلب الثاني: أسباب الإسراف والتبذير

إنَّ الإسراف والتبذير داء فتاك وآفة عظمى من الآفات التي تعصف بالأمم والمجتمعات، مما يعود بالسلب على المجتمع عامة، والفرد خاصة، وأسبابه كثيرة منها.

---

[1]- الزمخشري: **الكشاف**(661/2).

[2]- انظر: ابن الجوزي **: زاد المسير** (20/3) .

[3] - الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، ت 1094هـ: **الكليات**. تحقيق عدنان درويش - محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ط. : فصل الألف والسين (113/1)

[4]- عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم** - (4115/9).

أولا: الترف والبذخ:

الترف سبب من أسباب الإسراف والتبذير التي ذمها الله تعالى في كتابه العزيز وتوعد أهله شر الوعيد، و قد تحدثت سورة الإسراء، عن هذه الآفة التي تأصلت في مجتمعنا، في أشكاله المتعددة، فجاءت السورة لتحذرنا من ذلك قال تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء:26). فالتبذير منهي عنه لما فيه من آثار تعود بالسلب على الفقراء والمساكين، وهو نهي عام عن كل أنواع التبذير .

وقد تكرر الوعيد في قوله تعالى﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الواقعة:41 -45).

قال الإمام الواحدي:" كانوا في الدنيا منعمين "[1] . غارقين في ترفهم ومتعهم في الدنيا[2] متنعِّمين في ترك أمر الله فشغلهم تَرفُهم عن الاعتبار والتعبُّد.[3]، حبا للرياسة[4] فشغلهم ترفهم عن النظر إلى أصحاب الحاجة فاستكبروا عليهم، ولا نقول أن التنعم بذاته جريمة ينكرها الشرع الحكيم، ولكن إصرارهم على التبذير والترف والبذخ هو المنهي عنه، فإن الترف والبذخ يجعل المرء منشغلا في الدنيا معرضا عن التعبد، وفي الوقت ذاته معرضا عن والديه وهذا ما حصل مع بني إسرائيل، فحبهم للرياسة شغَلهم عن عبادة الله، ولذلك تَناسب ذكر جميع المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء، بعد الحديث عن بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض.

ثانيا: الضلال في الدين والدنيا:

الضلال في الدين والدنيا من المهلكات، وتكبر المرء وعلوه في الأرض إنما هو بسبب الضلال في الدين والدنيا، وقد بينت سورة الإسراء حال من كان في هذا الضلال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء: 27)

---

[1]- الواحدي : **الوسيط** (235/4) ، أنظر : البغوي **: تفسير البغوي** (18/8).

[2] - مدكور، على أحمد ، **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**. دار الفكر العربي. د.ط. (1421هـ - 2001م) (186/1).

[3]- ابن الجوزي : **زاد المسير**(224/4).

[4]- انظر : الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت 505هـ: **إحياء علوم الدين**. 4مج. بيروت: دار المعرفة. د.ط. (246/3).

ونلاحظ هنا أن الآية بدئت بحرف التوكيد "إنّ" ؛ وذلك للتأكيد على حال هؤلاء أنهم أخوة للشياطين، فلّما كانوا إخوانا للشياطين؛ جعلهم الله في ضلال في دينهم ودنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، فهم أخوان للشياطين في كل شيء في الإسراف والتبذير والمعصية... وهذا الضلال بكسب أيديهم، وجاء ذلك في قوله تعالى" ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾ (الإسراء:15) وهذه الآية يفسرها قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ ﴾ (غافر:28). والآيات في سورة الإسراء تبين الحالة التي عاشها بنو إسرائيل من الضلال والفساد في الدين والدنيا، وقد بينت السورة هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ (الإسراء:16). هذا حال بني إسرائيل؛ أمة لا تنظر إلى الجماعية والفرد، فكل له عالمه دون النظر إلى الغير، وليس له أدنى مسئولية، ولا يهمه الفرد والمجتمع، بل تراه يسعى إلى الباطل والإفساد؛ إفساد الدين والدنيا، ولذلك لا بد من تحذير أمة الإسلام؛ هذه الأمة التي انتقلت إليها قيادة الأمة، أن تنظر إلى الأمر نظرة تخالف ما كان عليه بنو إسرائيل.

يقول سيد قطب:" فإن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التي يعيش فيها، فإن الله يعجل له حظه في الدنيا حين يشاء، ثم تنتظره في الآخرة جهنم عن استحقاق. فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطخون بوحلها ودنسها ورجسها، ويستمتعون فيها كالأنعام، ويستسلمون فيها للشهوات والنزعات ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنم"[1]. فإن هؤلاء قد أغفلوا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾ (الإسراء:29).

[1] - قطب : **في ظلال القرآن** (2218/4).

ثالثا: السعة بعد الضيق أو اليُسر بعد العسر:

ذلك أنَّ كثيراً من الناس تتقلب أحوالهم بين الغنى والفقر، فتارة يكون الغنى في صفهم وتارة أخرى ينزع منهم وفق تقدير الله، مما يصعب على هؤلاء الرضى بما قدر الله لهم، فيعيشون في تخبط دائم، فيصعب عليهم الموازنة في تقدير الأشياء؛ مما يجعلهم في تخبط؛ فيقعون في هذه الآفة العظيمة.

إن السبب في تخبط هؤلاء هو مخالفتهم لأوامر الله، ولو أنهم التزموا بما قدر الله لهم لسعدوا في حياتهم، وإن سورة الإسراء لم تدع هذا الصنف من الناس في تخبط؛ بل أوجدت لهم الحل في أبهى صوره كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30) فلو وقف هؤلاء عند هذه الآية العظيمة، لعلموا أن الله إنما يدفع للمرء ما يقوم على صلاحه.

رابعا: صحبة المسرفين:

إن صحبة المسرفين هلاك في الدنيا والآخرة؛ لأن المرء يتصف بصفات صاحبه، ولذلك فإن صحبتهم من أسباب الإسراف، وسوف يتحسرون على هذه الصحبة، قال تعالى﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان:27 29)، والآية دليل على أثر صحبة السوء، وأنّ الإنسان لن ينفعه الندم حينها، وسيعض على يديه؛ كناية على شدة الحسرة والندامة يقول المراغي:" فيعض الكافر على يديه نادما على مافات ويتمنى أن لو كان قد أطاع الرسول فيما أمر ونهى ولم يكن قد أطاع شياطين الإنس والجن الذين أضلوه السبيل وخذلوه عن الوصول إلى محجة الصواب"[1]، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ**

[1] المراغي : **تفسير المراغي** (7/19).

صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً"[1].

يقول القاري الهروي : إن مصاحبة الأخيار تورث الخير ومصاحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا هبت على الطيب عبقت طيبا، وإن مرت على النتن حملت نتنا. وَقِيلَ: إِذَا جَالَسْتَ الْحَمْقَى عُلِّقَ بِكَ مِنْ حَمَاقَتِهِمْ مَا لَا يَعَلَقُ لَكَ مِنَ الْعَقْلِ إِذَا جَالَسْتَ الْعُقَلَاءَ لأن الفساد أسرع والحاصل أن الصحبة تؤثر، ولذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: 119)[2]. وإنَّ هؤلاء المسرفين عندما تضيق بهم الدنيا؛ فلن ينفعهم أصحابهم، وسوف يعرضون عنهم في الدنيا والآخرة، وهذا ما بينته سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ (الإسراء:56)، قال المراغي:" أي قل أيها الرسول لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه حين ينزل الضر بكم من فقر ومرض ونحوهما، وانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم؟ إنهم لا يقدرون على دفع شيء من ذلك ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم و خالقهم"[3].

المطلب الثالث: مظاهر الإسراف و التبذير

إنَّ مظاهر الإسراف والتبذير عديدة، وتختلف من واحد لآخر، وقد جاءت سورة الإسراء لتعالج ظاهرة الإسراف من خلال قوله قال تعالى﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الإسراء:29). لقد أنعم الله على عباده بنعم لا حصر لها، ومنها نعمة المال، وهو نوع من أنواع الزينة في هذه الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَالُ

---

[1] - تقدم تخريجه (39).

[2]- القاري : **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (** 8/3136- 3137).

[3]- المراغي **: تفسير المراغي** (63/15).

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف:46) ولا شك أن المال ضروري لصلاح المجتمعات، ولذلك نرى في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : **" إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قيل وقال وكثرة السؤال، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ "**[1].

قال العيني:" وهو أن يتركه من غير حفظ له فيضيع، أو يتركه حتى يفسد، أو يرميه إذا كان يسيرا كبرا عن تناوله، أو بأن يرضى بالغبن[2]، أو ينفقه في البناء واللباس والمطعم بإسراف، أو ينفقه في المعاصي، أو يسلمه لخائن أو مبذر، أو يموه الأواني بالذهب أو يطرز الثياب به، أو يذهب سقوف البيت، فإنه من التضييع الفاحش لأنه لا يمكن تخليصه منه وإعادته إلى أصله"[3] وهذ مسرف يجب منعه قال تعالى ﴿ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) وقال تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء:26 -27)وكذلك قال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ (الفرقان:67) فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه[4].

مما سبق نلاحظ أن مظاهر الإسراف متعددة ومتنوعة، وأّن الله قد منح المال لحاجة ، وهي صلاح الخلق، فنستعمله بما يتناسب و وصية الله به، فنبذل هذا المال فيما ينبغي ونمسكه عمّا لا

---

[1] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى{لا يسألون الناس إلحافا}، حديث رقم 1477(124/2). مسلم **: صحيح مسلم**، كتاب الحدود ،باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، حديث رقم 593 (1341/3).

[2] _ الغَبْنُ بالتسكين في البيع، والغَبَنُ بالتحريك في الرأي. يقال غبنته (1) في البيع بالفتح، أي خدعته، وقد غُبِنَ فهو مَغْبونٌ. وغَبِنَ رأيه بالكسر إذا نقصه فهو غَبينٌ، أي ضعيف الرأي، وفيه غبانة. الفارابي : **الصحاح تاج اللغة** (2172/6).

[3] - العيني : **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (60/9).

[4]- انظر: الغزالي : **إحياء علوم الدين** (341/2- 342).بتصرف.

ينبغي، فنكون بذلك وسطا في استعماله، كما قال تعالى﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29).

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على الإسراف و التبذير

أولا: الحسرة و الندامة:

إنَّ المسرف لا يعي أن الإسراف عاقبته وخيمة؛ وقد بينت سورة الإسراء حال المتهور والمتسرع في ماله من غير أن يوازن بين الأمور، قال تعالى﴿ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) فهذا نهايته الحسرة والندامة.

قال سيد قطب: ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور. والحسير الذي يقف ضعيفا وعاجزا. فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف لا يقدر على شيء. وكذلك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير. ملوما في الحالتين على البخل وعلى السرف[1].

ثانيا: الإسراف خطر على الأسرة و المجتمع:

يعد الإسراف سببا من أسباب تدهور الأسرة والمجتمع. وهو من أسباب اختلال التوازن الاجتماعي لذلك نلاحظ مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الإسراء:29). فقد تناسب مع قول الله في الآية الكريمة﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء:26). لوجود علاقة بينهما.

[1]- قطب: **في ظلال القرآن** (2223/4) بتصرف.

والذي يتبدّى لي، أن الله يريد أن يحذر هؤلاء المسرفين والمبذرين، وينبههم الى أنّ هناك من يحتاجون لأموالكم، وهم أحق بها من الإسراف والتبذير، فعليكم العناية بهم، وإلا فإن إهمالكم لهم سيكون فيه خطر تفكك الأسر التي لا تجد قوت يومها، وعندها ستكون عاقبة ذلك وخيمة، من القتل والزنا.... وغيرها من الآفات التي تأصلت في المجتمعات.

المطلب الخامس: معالجة ظاهرة الإسراف و التبذير

إنّ الإسراف والتبذير من الأمراض الاقتصادية التي أصابت الأمة، ولنا أن نتساءل ونحن نقرأ الآيات في سورة الإسراء، هل عالجت سورة الإسراء هذه الآفة وكيف عالجت الأمراض الاقتصادية؟ مرض الموازنة بين الاستهلاك وبين ما أملك، لقد بيّنت السورة ذلك ، ووضعت الدواء قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) إنه ميزان الاعتدال في كل شيء، وهو علاج للأمراض الاقتصادية في حياة الأفراد والمجتمعات، وقد جاء القرآن لعلاجها وتصحيح أخطائها في آية واحدة ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء:29) ليبرئنا من الأمراض التي تأصلت في الأمم الماضية، وانتقلت الى يومنا هذا، ومن طرق معالجة ظاهرة الإسراف والتبذير:

أولا: التوسط في الانفاق:

الوسطية هي صفة المؤمنين الذين وصفهم الله بها بأن جعلهم أمة وسطا قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:143) فهم وسطية في كل شيء، لا إفراط ولا تفريط، وقد بيّنت سورة الإسراء هذه الوسطية في علاج آفة الإسراف وأوجدت لذلك الحل كما في قول تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء:29)**.**لقد بيّنت الآية حال المرء عند الإنفاق، بأن لا يكون مبذرا في إنفاقه، ولا يبخل على نفسه، موصيا إياه بعدم الإفراط والتفريط، قال المراغي :"والخطاب هنا لمن ليسوا بالمبذّرين

في إنفاقهم، فلا ينفقون فوق الحاجة، ولا ببخلاء على أنفسهم وأهليهم فيقصّرون فيما يجب نحوهم، بل ينفقون عدلا وسطا، فيوازنون بين الأمور، وخير الأمور أوسطها"[1]. والواضح أن هؤلاء قد جعلوا من حياتهم وسطية، في كل شيء من غير إفراط ولا تفريط، وأكثر ما يتجلّى هذا في كيفية استعمال أموالهم وإنفاقها، فتراه ينفق حاجته فقط يقول سيد قطب :" وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع، يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال والإسراف والتقتير يحدثان اختلالا في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصاديّ.والإسلام وهو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ به من نفس الفرد، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الإيمان"[2].

ويقول الشيخ الشعراوي :" وهذا هو حدّ الاعتدال المرغوب فيه من الشرع الحكيم، وهو الوسط، فلا تبسط يدك كل البَسْط فتنفق كل ما لديْك، ولكن بعض البَسْط الذي يُبقِي لك شيئًا تدخره، وتتمكن من خلاله أنْ ترتقيَ بحياتك لأن الإنفاق المتوازن يُثري حركة الحياة، ويُسهم في إنمائها ورُقيّها، على خلاف القَبْض والإمساك، فإنه يُعرقِل حركة الحياة، وينتج عنه عطالة وبطالة وركود في الأسواق وكساد يفسد الحياة، ويعرقِ حركتها"[3].

إن سورة الإسراء وضعت لنا أسسًا رائعة في كيفية بناء مجتمع اقتصاديّ متين، تقوم عليه المجتمعات، فالتوسط في الإنفاق أساس الاقتصاد وعماده، وفيه صلاح الأسرة والمجتمع.

ثانيا:النهي عن الإسراف والتبذير بحفظ المال وعدم إتلافه:

لقد أمر الله بحفظ المال ونهى عن إتلافه، وقد بينت سورة الإسراء هذا الأمر والنهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الإسراء:26) ووصف المبذرين بما يناسب حالهم قا تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإسراء:27)

---

[1]- انظر: المراغي **: تفسير المراغي** (38/19).

[2]- قطب: **في ظلال القرآن** (2578/5 -2579) بتصرف.

[3]- الشعرواي **: تفسير الشعراوي** (8481/14 -8483) بتصرف.

وبيان ما يفترض بالفرد أن يكون عليه من الموازنة من غير إفراط ولا تفريط قوله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29). حفاظا على ماله من الضياع.

يقول الزحيلي: "الإسلام دين التوسط والرحمة والاعتدال في النفقة على النفس والقريب والأهل والمحتاجين، فلا يصح البخل والتقتير، ولا الإسراف والتبذير، وليعتمد الإنسان على رزق الله الذي لا ينقطع ولا ينفد، وليتكل على الله الذي لا يضيع أحدا من خلقه وعباده، إذا أحسنوا العمل وقاموا بالكسب والسعي، ولم يعطلوا مواهبهم في الإنتاج والبحث واكتشاف خزائن الأرض، والإفادة من خيرات السماء، قال الله عز وجل مبينا دستور الإنفاق على القرابة والمحتاجين والأهل جميعا "[1] قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) فالتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن[2].ومتى اختل هذا التوازن؛ انعكس أثره على الأسرة والمجتمع.

ثالثا:التربية الاقتصادية السليمة:

لقد عنيت سورة الإسراء بالإنسان واهتمت به في جميع جوانب الحياة عقيدة وفكرا ومنهجا، ووضعت لذلك مناهج ثابتة لبناء الشخصية المسلمة ومن ضمن هذه المناهج، التربية الإقتصادية. وهي تربية على حسن الإنتاج والكسب، وحسن الاستهلاك والإنفاق وحسن التوزيع، وفي هذا المقام يمكن أن نستأنس بما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يربّي أصحابه عليه، ومن ذلك:

أ.التربية على أنّ الغنى غنى النفس.

إنّ تربية المرء على أنّ الغنى هو غنى النفس وليس غنى المال، يجعله في عفاف وقناعة، ويجعل إيمانه وعقيدته ثابتة لا تتزعزع إنّ الذي يقسم الأرزاق هو الله، فيعلم أنّ ما آتاه الله إياه من المال؛ -وإن كان قليلا -؛ إنما يُراد له بذلك الخير والصلاح، فتعِف نفسه عن المال، ويعلم أنّ

---

[1] - الزحيلي : **التفسير الوسيط** (1341/2).

[2] - قطب : **في ظلال القرآن** (2223/4).

كثرة المال لا تورث غنى، وهذا ما أكدته سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30).

قال السفاريني: " (والغنى) الحقيقي (غنى النفس) بالعفاف والقناعة والاقتصاد وعدم الانهماك في لذات الدنيا (لا عن كثرة) المال (المتعدد) فإنه لا يورث غنى بل يورث مزيد الشره والانهماك، فكلما نال عنه شيئا طلب شيئا آخر، ولا يزال كذلك حتى يهلك"[1].

ب_التربية على العمل وكسب العيش.

إنّ الله سبحانه وتعالى قد سخر لعباده وسائل الرزق، وذلل لهم كل الوسائل، فما عليهم إلّا أن يسعوا وراء رزقهم كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ الإسراء:66).

قال القرطبي :" وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله عند عباده، أي ربكم الذي أنعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا به شيئا. (لتبتغوا من فضله) أي في التجارات"[2].

وقال تعالى أيضا: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الإسراء:12)[3].

إنَّ القرآن الكريم قد جمع أسباب الشفاء والعلاج، ولم يدع مشكلة إلا وشخصها من جميع جوانبها وسعى في حلها؛ فكان خير علاج وخير شفاء، بشتى أنواع الشفاء؛ النفسي المادي والروحي وكانت سورة الإسراء أعظم سورة في بيان علاج هذه الأدوية على شتى المستويات. ولكن لن ينفع هذا الشفاء إذا لم يكن هناك إيمان بهذا الكتاب وقدرته على الشفاء والعلاج ولذلك نجد الآيات توضح ذلك.

---

[1] - السفاريني : **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب** (542/2).

[2] - القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن.** (291/10).

[3]- تقدم الحديث عن شرح الآية ، الفصل الثالث: المضامين الاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان، **المطلب الخامس ، تكريم الإنسان** (ص71).

إنَّ هذا الكتاب في شفاء، و لكن لمن؟ هذا ما أجابت عليه الآية في قوله تعالى﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء:81)، إنه شفاء للمؤمنين، الذين اتخذوا من هذا الكتاب دستورا ومنهجا لحياتهم، والذين أعرضوا عنه، فلن ينالهم إلا الخسران، ولنا أن نسأل، أين نحن من القرآن؟ وهل سنغير نهج حياتنا ببعدنا عنه؟ لا بد أن يكون موقفنا منه كاملَ الوضوح لا تشوبه شائبة، وهو الإيمان المطلق أنّ هذا القرآن إنّما جاء لسعادة البشرية، وعلاج آفاتها التي تأصلت في الفرد في والمجتمع. ولكن مع الأسف نجد اليوم أنّ واقع الأمة بعيدٌ عن كتاب الله، واقع يحكمه الغرب في كل أفكاره ونسوا أن الهداية في قوله تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء:9) وأنه هو منهج الحياة البشرية، القائم على اتباع ما شرعه الله على كافة المستويات.

المبحث الثاني

آفة البخل

المطلب الأول: تعريف البخل

البخل: إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود[1] وهو الإمساك حيث وجب البذل[2] ومنع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه[3].

المطلب الثاني: ذم البخل من القرآن و السنة

أولا:ذم البخل في القرآن:

لقد ذم القرآن البخل وبين حال صاحبه بوصفه وما يتناسب وحاله، والبخل من الآفات التي جاءت سورة الإسراء لتحذر منها وتنهى عنها، ولم تقف سورة الإسراء عند ذلك، بل أوجدت لهذه الآفة الحلول، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) هذه الآية هي الأدب الأساس في الإنفاق والله سبحانه وتعالى لمّا أمر بالإنفاق، علّمنا أدب الإنفاق وأنه مضمون اجتماعي قلمّا ما يُعطى العناية والاهتمام وجاء التعبير هنا تصويرا، فصور البخل باليد المغلولة إلى العنق، مشبها التقتير والإحجام عن الإنفاق والعطاء بالغل[4]، وكأن يده مربوطة بغل إلى عنقه، وصوّر الإسراف باليد المبسوطة كل البسط لا تمسك صاحبها شيئا، ويرسم عاقبة البخيل ونهايته بالملوم المحسور. فكلاهما أفسد معيشته ومعيشة الآخرين فاستحقا هذه العاقبة الوخيمة، وهذه الآية جاءت معطوفة

---

[1] - الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، باب البخل(109/1)، انظر: الفيروز آبادي **: بصائر ذوي التمييز** (227/2).

[2] -الهيتمي: **الزواجر عن اقتراف الكبائر** (289/1).

[3]- السفاريني : **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب** (427/2).

[4] - (الْغُلُّ) بِالضَّمِّ وَاحِدُ (الْأَغْلَالِ) يُقَالُ: فِي رَقَبَتِهِ (غُلٌّ) مِنْ حَدِيدٍ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ: غُلٌّ قَمِلٌ. وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغُلَّ كَانَ يَكُونُ مِنْ قِدٍّ وَعَلَيْهِ شَعْرٌ فَيَقْمَلُ. وَ (غَلَّ) يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ مِنْ بَابِ رَدَّ. وَقَدْ (غُلَّ) فَهُوَ (مَغْلُولٌ) . وَ (الْغُلُّ) أَيْضًا وَ (الْغُلَّةُ) وَ (الْغَلِيلُ) حَرَارَةُ الْعَطَشِ الرازي: **مختار الصحاح**، مادة غ ل ل، (229/1).

على قوله تعالى ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء: 26)، والعطف يقتضي بيان الأهمية والاستقلالية، قال ابن عاشور:" إنّ في عطفها اهتماما بها يجعلها مستقلة بالقصد لأنها مشتملة على زيادة على البيان بما فيها من النهي عن البخل المقابل للتبذير"[1].

فالآية تنهى عن البخل والتبذير في آن واحد وهما آفتان، فالبخل مذموم، والإسراف مذموم، فلا بد أن يكون التوسط بينهما، فلا إفراط ولا تفريط.

يقول الأمام القرطبي: وقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) (الإسراء:29) هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على إخراج شي من ماله، فضرب له مثل الغل الذي يمنع من التصرف باليد وقوله تعالى: (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الإسراء:29) ضرب بسط اليد مثلا لذهاب المال، فإن قبض الكف يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها[2].

وقال البيضاوي: وهذه الصورة البلاغية لمنع الشحيح وإسراف المبذر، نهى عنهما آمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم (فَتَقْعُدَ مَلُومًا) فتصير ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير. (مَّحْسُورًا) نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك ، فلن ينفعك شيء[3].

يقول سيد قطب:" والذي يبخل بنفسه وماله، ويستغني عن ربه وهداه، ويكذب بدعوته ودينه يبلغ أقصى ما يبلغه إنسان بنفسه من تعريضها للفساد ويستحق أن يعسر الله عليه كل شيء، فييسره للعسرى! ويوفقه إلى كل وعورة! ويحرمه كل تيسير! ويجعل في كل خطوة من خطاه مشقة وحرجا، ينحرف به عن طريق الرشاد ويصعد به في طريق الشقاوة وإن حسب أنه سائر في طريق الفلاح وإنّما هو يعثر فيتقي العثار بعثرة أخرى تبعده عن طريق الله، وتنأى به عن

---

[1]- ابن عاشور : **التحرير والتنوير** (84/15).

[2]- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** (250/10) بتصرف.

[3] - البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت: 685هـ: **أنوار التنزيل.** تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت : دار إحياء التراث العربي. (1418ه).(253/3) بتصرف.

رضاه، فإذا تردى وسقط في نهاية العثرات والانحرافات لم يغن عنه ماله الذي بخل به، والذي استغنى به كذلك عن الله وهداه قال تعالى ﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ الليل:11) والتيسير للشر والمعصية من التيسير للعسرى، وإن أفلح صاحبها في هذه الأرض ونجا، وهل أعسر من جهنم؟ وإنها لهي العسرى!"[1].

فالبخيل في حسرة وندامة، فيكون مذموما من أهله ومجتمعه، ولن يناله من ذلك إلا الكراهية من هؤلاء.

ثانيا:ذم البخل في السنة:

لقد عنيت السنة وأهتممت بالتحذير من البخل، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: **"اللهم إنِّي أعوذُ بك من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكسَل، والبُخْلِ والجبنِ، وضلع الدّين، وغَلَبَة الرِّجَالِ"**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: **"لا يأتي ابن آدم النّذْرُ بشيءٍ لم يكن قُدّرَ له، ولكن يُلْقِيهِ النَّذرُ إلى القَدَرِ قد قُدِّرَ له، فيستخرج اللهُ من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يُؤْتى عليه من قبل"**[3].

قال العيني في شرح الحديث: أن من الناس من لا يسمح بالصدقة والصوم إلا إذا نذر شيئا لخوف أو طمع، فالذي حمله على التصدق هو الخوف أو الطمع، فكأنه لو لم يكن ذلك الشيء الذي طمع فيه أو خافه لم يسمح بإخراج ما قدره الله تعالى، ما لم يكن يفعله فهو بخيل[4].

---

[1]- قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** (3922/6- 3923).

[2] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الجهاد والسير ، باب من غزا بصبي للخدمة ، حديث رقم 2893 (36/4) مسلم: **صحيح مسلم** ، كتاب الذكر والدعاء ،باب التعوذ من العجز والكسل ، حديث رقم 2706 (2079/4).

[3] -المصدر السابق: كتاب الأيمان و النذور ، باب الوفاء بالنذر، حديث رقم 6649 (141/8) ، مسلم : **صحيح مسلم** كتاب النذر ، باب النهي عن النذور ، حديث رقم 1640(1262/3).

[4]- العيني : **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (207/23) بتصرف.

المطلب الثالث:آثار البخل

أولا : البخيل بعيد عن الله:

البخيل بعيد عن الله، بعيد عن رحمته، قريب من عذابه وهذا ما أقرته سورة الإسراء، حيث جاء البخل معطوفا على العبادة، وهي التي ترتبط بها كل المضامين الاجتماعية التي عرضتها هذه السورة قال تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:23 29). فالبخل سببه عدم الالتزام بعبادة الله ، وأداء هذه المضامين كما أوصى الله بها له علاقة وطيدة بالعبادة؛ لأن الله جعلها متعلقة بالعبادة، لذلك اقتضت حكمة الله التنبيه عليها بعد ذكر أمر الالتزام بهذا الدين، والذي بصلاحه يكون صلاح المجتمع، وبفساده يفسد المجتمع.

ثانيا: الحسرة والندامة :

إن البخل عاقبته وخيمة؛ وقد بينت سورة الإسراء حال البخيل، قال تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:29) فهذا نهايته الحسرة والندامة.

قال سيد قطب: وهذه نهاية البخل قعدة كقعدة الملوم المحسور. والحسير الذي يقف ضعيفا وعاجزا. فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف على بخله[1].

المطلب الرابع: بيان علاج البخل

لقد بينت سورة الإسراء آفة البخل؛ لما فيها من خطر يعود على الأسرة والمجتمع، وأما طرق علاج هذه الآفة فهي كما يأتي:

[1]- انظر: قطب : **في ظلال القرآن** (2223/4) بتصرف.

أولا: الإيمان بأن الله هو الرزاق:

إنّ الإيمان بأن الله هو الرزاق سيجعل المرء مطمئنا على رزقه فلا يخاف عليه، فيرضى بقدر الله وفي هذا يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30) لذلك جاء حرف التوكيد"إنّ" ليؤكد أن الله هو وحده الرزاق، والبخيل يظن أن الإنفاق سيفقره، وهذا ما ذكره الله في قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء:100). فهذه الآية كشفت أحوال الناس، والطبيعة التي تتملكهم؛ وهي حب المال والاستئثار به دون غيرهم.

يقول عبد الكريم يونس الخطيب: وفى هذه الآية ما يكشف عن الطبيعة الكامنة في البخلاء، بل الطبيعة الغالبة على الناس جميعا، وهى حسد الناس بعضهم لبعض، وحبُّهم للذات! لو أن إنسانا ملك الدنيا كلها بين يديه لاستحوذ عليها لنفسه، ولأبى أن يشاركه أحد وأكثر من هذا فإنه لو أن إنسانا من الناس ملك خزائن رحمة الله التي لا تنفد أبدا لما أعطى أحدا منها شيئا لا لشيء إلا لأنّه يريد أن يستفرد بكل شيء! فالإنسان يرى أخاه الإنسان منافسا خطيرا له، ومن هنا كانت العداوة أشدّ بين الناس كلّما تشاكلت أحوالهم، وتقاربت ديارهم ففى قوله تعالى: ﴿ لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ ﴾ لأمسكتم خشية أن تنفقوا فتتسع أرزاق الناس، ويكثر الخير فى يدهم، وهذا هو مقام التفرّد، والاستعلاء على الناس[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ دلالة على البخل الذي يلازمهم وأنهم يمسكون أيديهم عن الإنفاق، ولو ملك مال الدنيا. قال الشنقيطي:" لبخلوا بالرزق على غيرهم، ولأمسكوا عن الإعطاء، خوفا من الإنفاق لشدة بخلهم وبيَّن أن الإنسان قتور، أي بخيل مُضَيِّقٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ، أَيْ ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ."[2] والإنسان مهما

---

[1]- انظر : الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (9/557-558) بتصرف.

[2]- الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار ت 1393ه: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت - لبنان دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع (1415 هـ) (3/186-187).

بلغ ماله لن تجد عنده القناعة؛ إلا ما شاء الله، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم **"لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"**[1] ففي الحديث دليل على أن الإنسان لا يكتفي بالقليل وحبه للمال يعميه، فيمنعه ذلك من الإنفاق، ويدخل في عداد البخلاء.

ثانيا: بيان فضل الإنفاق:

إنّ من فضل الله تعالى على عباده أن شرع لهم من الدين ما يدخلون به الجنة وينجيهم به من النار ومن الأمور التي شرعها المولى عز وجل رحمة بعباده أن يفعلوا الخيرات، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء:26) وينفقون مما رزقهم الله من مال، قال تعالى﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة:103).

قال الإمام البغوي:" تطهرهم، بها من ذنوبهم، وتزكيهم بها، أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين وقيل: تنمي أموالهم"[2]. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حال المنفق يوم القيامة؛ فهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"**[3].

---

[1]- البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم 6438 (93/8).

[2]- البغوي **: تفسير البغوي** (384/2).

[3] -البخاري: **صحيح البخاري** ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، كتاب الأذان، حديث رقم 660 (133/1).

ثالثا: ذم البخل والتحذير من عواقبه:

هذا وقد جاءت الآيات تذم البخل وتحذر منه، حتى يعظم في النفس كبر هذه الآفة، وإظهار البخل في أشنع تصوير كما بيّنته سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء:27) مما يجعل النفس تنفر منه.

قال عبد الكريم يونس الخطيب:" هو تحذير من الشحّ والبخل، وقد صوّر بهذه الصورة التي يبدو فيها البخيل الشحيح، وقد غلّت يده إلى عنقه، فلا ينتفع بها فى أي وجه من وجوه النفع، كما أنه لم يكن يوجهها بخير إلى أحد... فهى يد معطلة، فكان شدّها إلى عنقه إعلانا عن صفتها التي أصبحت عليها"[1]، وهي صورة من شأنها أن تردع البخيل عن بخله؛ إذا استشعر في نفسه هذه الصورة.

[1]- الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (477/8).

المبحث الثالث

آفة الزنا

المطلب الاول: تعريف الزنا

عرفه العسكري فقال:"الزنا هو وطئ المرأة في الفرج من غير عقد شرعي، ولا شبهة عقد، مع العلم بذلك، أو غلبة الظن"[1].

وعرفه المناوي فقال:"إيلاج الحشفة بفرج محرم لعينه خال عن شبهة مشتهى وقيل: هو وطء من قبل خَالٍ عن مُلْكٍ ونِكاحٍ وشبهة"[2].

المطلب الثاني: أسباب الزنا ودوافعه

الزنا كبيرة من الكبائر التي حرمها الله في كتابه العزيز، وهي آفة عظيمة تصيب المجتمعات في كل زمان ومكان، وقد حذر الله منها أيّما تحذير في غير موضع؛ لأن في وجودها وانتشارها تفكيكا لأواصر الأسر والمجتمعات وخلطاً للأنساب وحداّ من التناسل والتكاثر، وانتشاراً للأمراض، وفي ارتكاب هذه الفاحشة؛ مخالفة لأمر الله، وقد جاءت سورة الإسراء لتحذر من هذه الفاحشة فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32) فنجد الآية الكريمة تحذر من هذه الجريمة، التي سماها القرآن فاحشة.

ونلاحظ في الآيات الواردة في سورة الإسراء ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:32-33) أن

---

[1] - العسكري : **معجم الفروق اللغوية** ، باب الفرق بين الكذب والزور والبهتان ،268/1 ، انظر الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** (384/1).

[2] - المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ت 1031هـ: **التوقيف على مهمات التعاريف** . القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت. ط1. (1410هـ-1990م) (187/1). انظر: الكفوي: **الكليات**. (489/1).

النهي عن القتل جاء بعد النهي عن الزنا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:32) مع أن القتل من أكبر الكبائر. فما الحكمة من هذا التقديم؟

وقد أجاب الإمام الرازي على ذلك قائلا:" إن الزنا من الأشياء التي نهى الله عنها ذلك أنه يوجب اختلاط الأنساب، والمنع من دخول الناس في الوجود، وأما القتل فهو عبارة عن إعدام الناس بعد دخولهم في الوجود انقطاع النسل فثبت أن النهي عن الزنا والنهي عن القتل يرجع أمره إلى النهي عن إتلاف النفوس "[1].

ولنا أيضا أن نسال سؤالا آخر، ما علاقة قتل الأولاد بالزنا؟ حيث إننا نلاحظ أن آية تحريم الزنا قد جاءت بعد قتل الأولاد خشية إملاق، وقبل تحريم قتل النفس.

والذي تبدّى لي أن أحد أسباب القتل هو وجود الأولاد غير الشرعيين؛ الذين جاؤوا عن طريق غير مشروعة وهي الزنا، ووجود أبناء الزنا سبب لقتلهم؛ فوجب على المرء أن يصون نفسه من الزنا، حتى لا يقع في هذه الجريمة النكراء؛ فجاءت سورة الإسراء لتعالج هذه قبل مولدها، لإنكار الإسلام لهذه الجريمة، وذلك في قوله تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا } (الإسراء:32)، بخلاف المجتمعات الغربية التي تحاول أن تعالج هذه الآفة عن طريق إقامة مؤسسات تضم هؤلاء الأولاد غير الشرعيين، مع ما في الأمر من تكاليف مادية باهظة؛ فهؤلاء لم يعالجوا هذا الخطر من جذوره كما فعل الإسلام، حيث عمل بما هو أقوم؛ عملا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء:9).

[1]- انظر: الرازي : **مفاتيح الغيب** (336/20).

ومن أسباب الزنا ودوافعه

أولا:ضعف الدين في النفوس و انتكاس الفطرة السليمة:

إنَّ من أسباب الوقوع في هذه الجريمة التي حذر الله منها هو ضعف الوازع الديني ، ومخالفة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وإلاّ فكيف يقرب المسلم الزنا وقد نهى الله عنه وبين أنه فاحشة وساء سبيلا! والله تعالى يقول:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:32).

إنّ المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب ومتى ضعف هذا القلب استحوذ الشيطان عليه، فيرى صاحبه الباطل حقا والحق باطلا، ولا يفرق بين معروف ومنكر.

ثانيا: خُلُو الرجل بالمرأة:

ومن أسباب الزنا أيضا خلو الرجل بالمرأة، وهذا الأمر قد حذرت منه سورة الإسراء، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:32) والنهي عن القرب من الزنا؛ لأنّه من موجبات الإغراء فخلو الرجل بالمرأة يقرّب من الوقوع في الزنا، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **أَنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ"**[1]. فالحديث دليل على أنه تحرم الخلوة بالأجنبية، وتباح الخلوة بالمحرم، وهذان الحكمان مجمع عليهما[2].

وقد بين ابن الجوزي علة هذا النهي حيث قال :" علة هذا النهي ظاهرة، وهو أن الطباع تدعو إلى ما جُبلت عليه والحياء يكفّ مع مشاهدة الخلق فإذا كانت الخلوة عُدِمَ الحياءُ المانعُ، فلم يبق

---

[1] -البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش ،فخرجت امرأته حاجة ، حديث رقم 3006، (59/4) ،مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب الحج ،باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره ، حديث رقم 1341(978/2).

[2] - الصنعاني **سبل السلام.** (305/2). انظر : الشوكاني : **نيل الأوطار** (344/4).

إلا المانع الديني والإنسان يجري مع طبعه، ويعاني مخالفة هواه حفظا للدين بكل كلفة فالطبع كالمنحدر والتقوى كالمداد، وقد تضعف قوة هذا الذي يَمُدّ، أو يشتد جريان المنحدر"[1].

ثالثا: تبرج المرأة و سفورها:

إنَّ الإسلام أراد أن يحفظ للمرأة خلقها وعفَّتها، وأراد أن يميزها عن غيرها من النساء، لأن خُلق المرأة العفاف والاحتشام، ولم يرض لها التبرُّج والسُّفور الذي عاشته وغرقت به المرأة الجاهلية. قال ابن غيهب: "والتبرُّج: كشف المرأة وإظهارها شيئاً من بدنها أو زينتها المكتسبة أمام الرجال الأجانب عنها، ويراد هنا: إظهار المرأة شيئاً من بدنها أو زينتها لظهورها، وهذا الأمر مدعاة للنظر إلى المرأة من قبل الرجال وهو القرب المنهي عنه في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:32).

وأما السُّفور: فهو كشف الغطاء، فالسُّفُور يعني: كشف الوجه، والتبرج يكون بإبداء الوجه أو غيره من البدن أو من الزينة المكتسبة، فالسفور أخص من التبرج، وأن المرأة إذا كشفت عن وجهها فهي سافرة متبرجة، وإذا كشفت عما سوى الوجه من بدنها أو الزينة المكتسبة فهي متبرجة حاسرة.[2] فالتبرج هو إظهار المرأة محاسنها للرجال الأجانب، ويشمل ذلك كشف وجهها وشيئا من بدنها، وهذا الذي ذمه الإسلام.

وللتبرج صور و مظاهر عرفها الناس قديما و حديثا.[3] وقد ذكر الامام الطبري بعضها في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الاحزاب:33).

---

[1] - ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 597هـ: **كشف المشكل من حديث الصحيحين**. 4مج. تحقيق علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن. ،د.ط. (343/2).

[2] - ابن غيهب، بكر بن عبد الله أبو زيد ت 1429هـ: **حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ**. ط11. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع. (1426 هـ - 2005 م)(71/1).

[3] - القرضاوي : **الحلال والحرام** (ص160).

قال الامام الطبري :"إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر والتغنج[1] "[2].

وقال القرطبي :" والمقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير وإظهار المحاسن للرجال، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعا"[3] وقال ابن كثير :" والتبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج"[4].

قلت: هذه صورة من تبرج الجاهلية الأولى، الاختلاط بالرجال، والتكسر في المشي والتغنج، وإظهار المحاسن، وليس هذا فحسب، فصوره في زماننا لا حصر لها، من الجلوس المختلط في الحفلات والندوات، ودور السينما والجامعات ونحوه على هيئة يبدو معها بعض محاسن البدن وزينته، وقد غزتنا جاهلية هذا العصر بصور عدة وألوان شتى من التبرج ، والتي تحط من قدر المرأة ورفعتها وحيائها ، ويعد معها تبرج الجاهلية الأولى ضربا من التصون والعفاف والاحتشام.

رابعا: النظر الى المرأة بشهوة :

إنّ تبرّج المرأة وسفورها من دواعي الزنا؛ لأنه يجذب الرجل ويثير شهوته، فكان التحذير منه؛ لأنه مدعاة للنظر إليها، لذا حذّر القرآن من النظر؛ لأن العينَ طريقُ الشيطان إلى القلب، وهي من أسرع الطرق إلى الزنا، لأن به إغراء للرجل، وهي من الطرق التي حذرت سورة الإسراء من الإقتراب منها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:32) وقد حذر القرآن من النظر وأمر المؤمنين من غضه قال تعالى﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ

---

[1]- الغنج: التكسر والتدلل غنجت الْجَارِيَة غنجا وتغنجت تغنجا وَجَارِيَة مغناج ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت: 321هـ. **جمهرة اللغة**. 3مج، ت رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، ط1.(1987م) باب الجيم والعين مع باقي الحروف، مادة (ج غ ن) (487/1).

[2] - الطبري : **جامع البيان** (259/20).

[3]- القرطبي : **تفسير القرطبي** (180/14)، انظر : الماوردي **: النكت والعيون** (399/4).

[4]- ابن كثير : **تفسير ابن كثير** (410/6) انظر : الماوردي : **النكت والعيون** (399/4).

يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾ (النور: 30 31).

يقول فضيلة الشيخ القرضاوي:"ومما حرمه الإسلام إطالة النظر من الرجل الى المرأة ومن المرأة إلى الرجل فإن العين مفتاح القلب، والنظر رسول الفتنة وبريد الزنا، لهذا وجه الله أمره إلى المؤمنين والمؤمنات جميعا بالغض من الأبصار مقترنا بأمره بحفظ الفروج"[1].

ويقول فخر الدين الرازي :"اعلم أنه تعالى قال: **قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ** إنما خصهم بذلك لأن غيرهم لا يلزمه غض البصر عما لا يحل له ويحفظ الفرج عما لا يحل له، لأن هذه الأحكام كالفروع للإسلام والمؤمنون مأمورون بها ابتداء"[2].

وأمر النساء بمثل ما أمر به الرجال وزاد فيهن أن لا يبدين زينتهن إلا لأقوام مخصوصين.[3] ولم يذكر الله تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج، غير أن ذلك معلوم بالعادة، وأن المراد منه المحرم دون المحلل[4]، وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر إلى غير من يحل النظر إليه[5].

قلت: وبدأت الآية بالمؤمنين بغض البصر ثم بالمؤمنات، لأن المرأة عند إبداء زينتها ومفاتنها؛ يكون ذلك مدعاة للرجل بالنظر اليها فاقتضي المقام الإبتداء بالرجال.

المطلب الثالث: كيف عالجت سورة الإسراء آفة الزنا

إنَّ الإسلام قد عالج كل مشكلة قبل مولدها؛ بخلاف المجتمعات الغربية التي تحاول أن تعالج الأخطاء الناجمة عن هذه الآفات بعد وقوعها، عن طريق إقامة مؤسسات أو ملاجئ، بالرغم من التكاليف المادية الكبيرة؛ فهؤلاء لم يعالجوا هذا الخطر من جذوره كما فعل الإسلام، حيث عمل بما هو أقوم. وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ

---

[1] - القرضاوي ، يوسف ، **الحلال والحرام**. ط16. ، مكتبة وهبة. (1405هـــــ -1985م) (ص148 -149).انظر: ابن حيان **: البحر المحيط**(33/8).

[2]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (360/23).

[3] - الرازي : **مفاتيح الغيب** (360/23)، انظر : **فتح القدير**. (26/4).

[4]- القرطبي : **تفسير القرطبي** (222/12).

[5]- الشوكاني : **فتح القدير** (26/4).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء:9) والعلاج والهداية تكمن في كتاب الله، وهل بعد هداية القرآن هداية؟ وكيف تعامل القرآن مع آفة الزنا من خلال سورة الإسراء.

أولا: التحذير الشديد من الإقتراب من هذه الجريمة:

لقد عني القرآن كثيرا بالتحذير من جريمة الزنا، وقد عدّها القرآن فاحشة، وذلك من خلال النهي عنها والوعيد الشديد في حق مرتكبها، و قد أكدت سورة الإسراء على هذا الأمر، وحذرت منه أيّما تحذير، كما في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32). فنجد أن الآية الكريمة تحذر من الاقتراب من هذه الجريمة، قال سيد قطب:" لأنّها ذات إغراء وجاذبية، كان التعبير: { وَلَا تَقْرَبُوا۟ }"[1] والتي سماها القرآن فاحشة.

قال ابن عاشور:" وتعليل النهي عن قرب الزنا؛ مبالغ فيه من جهات بوصفه بالفاحشة الدال على قبحه، وبتأكيد ذلك بحرف التوكيد، وبإقحام فعل (كان) المؤْذن بأن خبره وصف راسخ مستقر"[2] فالزنا فعل أهل المعاصي والفجور، وهي أفعال المخالفين لأمر الله، لأن النص صريح في عدم الاقتراب من هذه الفاحشة، وهذا القرب المنهي عنه هو شدة النهي في الاقتراب من الزنا، وقولي عدم الاقتراب لأن النهي لم يكن عن نفس الزنا وإنما عن دواعيه[3].

وفي هذا يقول النسفي:" وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهي عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا"[4] والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه[5].

---

[1] - قطب: **في ظلال القرآن** (1231/3).

[2] -ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (90/15) بتصرف.

[3]- تقدم الحديث عن دواعي الزنا في المطلب الثاني : **أسباب الزنا ودوافعه** (ص88-91).

[4] - النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ت: 710هـ: **تفسير النسفي. 3مج.** تحقيق يوسف علي بديوي. ط1. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. بيروت: دار الكلم الطيب. (1419 هـ) (255/2).

[5]- السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (1420هـ).(457/1).

قلت: إن الزنا جاء مباشرة بعد قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء:31) وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على عظم فاحشة الزنا، وعلى تناسب الآيتين فيما بينهما، وأنها كبيرة من الكبائر، وكأن الله يريد أن يخبرنا؛ أن الأولاد ليسوا سببا في الفقر، وإنما الزنا مدعاة للفقر، والله أعلم.

ثانيا: غرس الإيمان وتثبيته في القلب:

لا بد من غرس الإيمان في قلوب الشباب، وتوعيتهم لمخاطر هذه الفاحشة، وأن هذه الكبيرة ليست إلا مجرد شهوات شيطانية زائلة، وقد بين الله لنا العلاج من كل الأمراض والآفات، من خلال سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:9) فالعلاج في كتاب الله وهو خير دواء لأشد وأصعب داء، فمن عمل وتمسك به، كان له النجاة في الدنيا والآخرة.

قال سيد قطب: "إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفرادا وأزواجا، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة ولا تميل مع المودة والشنآن ولا تصرفها المصالح والأغراض، فيهديهم للتي هي أقوم فهذه هي قاعدته الأصيلة في العمل والجزاء فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان"[1]. ومن رغب عن ذلك وسعى إلى الدنيا -والزنا من شهوات الدنيا - فقد هلك، قال تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإسراء:18-19) وأردف سيد قطب قائلا:" والذي يريد الآخرة لا بد أن يسعى لها سعيها، فيؤدي تكاليفها، وينهض بتبعاتها، ويقيم سعيه لها على الإيمان. والسعي للآخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة، إنما يمد بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون

[1]- انظر: قطب : **في ظلال القرآن** (4/2215- 2218) بتصرف.

المتاع في الأرض هو الهدف والغاية. ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه، فلا يكون عبدا لهذا المتاع، وإذا كان الذي يريد العاجلة وشهواتها مآله إلى جهنم مذموما مدحورا، فالذي يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ينتهي إليها مشكورا يتلقى التكريم في الملأ الأعلى جزاء السعي الكريم لهدف كريم، وجزاء التطلع إلى الأفق البعيد الوضيء"[1].

قال المكي:"والإيمان في القلب على مقامين: فإذا تعلّق الإيمان بظاهر القلب أحبّ العبد الدنيا وأحبّ الآخرة وعمل لهما، فإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها"[2] وهذا يحتاج لعدة أمور منها:

1 -التوجه إلى الله وحده بالدعاء والرجاء :

إنّ التوجه إلى الله بالأوراد والذكر والدعاء والرجاء، من أَجَ العبادات التي يتقرب العبد بها إلى الله وتثبت الإيمان في القلب، قال **تعالى**﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ (الإسراء:110) فالله يامر نبيه بأن يقول لكفار قريش أن يسموا الله لأن ثبات القلب لا يحصل إلا بذكر الله، ومنه تكون رحمه الله بعباده، وبالدعاء يؤمّنهم من الخوف.

يقول المراغي:" أي قل أيها الرسول لمشركى قومك الذين أنكروا اسم الرحمن سمّوا الله أيها القوم أو سموا الرحمن،فبأى أسمائه جل جلاله تسمونه فهو حسن، لأن كل أسمائه حسنى، إذ فيها التعظيم والتقديس لأعظم موجود، وهو خالق السموات والأرض وهذان الاسمان منه".[3]

قال عبد الكريم الخطيب:" إشارة إلى أنهم يدعون من ينبغى أن يدعى، إذ لا مدعوّ -على الحقيقة- غيره، وهو الله سبحانه وتعالى وفى قوله تعالى: **{ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}** بيان لما يدعو به المؤمنون ربّهم، وهو أنهم يدعونه مسبّحين بحمده، شاكرين لفضله.. فهذا هو دعاء المؤمنين:

---

[1] -انظر: قطب : **في ظلال القرآن** (2218/4)..

[2] - المكي ، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب ت 386هـ**: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**. 2مج. ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي. ط2. بيروت،لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان(1426 هـ -2005 م). (392/1).

[3] - المراغي : **تفسير المراغي** (109/15).

عبادة، وصلاة، وتسبيح.. وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ ﴾ (28:الكهف)"[1] فدوام الذكر والدعاء والرجاء طريق لمحبة الله، والذي به تطمئن القلوب ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ (الرعد:28) ويزول الخوف والقلق، ولن يتحقق ذلك، إلا بترك شهوات الدنيا وما يقرب اليها، وبذكر الله وحده تطمئن قلوب المؤمنين، ويزول القلق والاضطراب من خشيته، والدعاء لا قيد له، فللإنسان أن يدعو الله بما شاء، وهذا ما قررته سورة الإسراء، في قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ١١٠ ﴾ (الإسراء:110).

2 - الالتزام بالطاعة وترك المعاصي :

لأن الالتزام بالطاعة يزيد من الإيمان، والابتعاد عن الشهوات ، لأن الشهوات تضعف الإيمان. وإن الطاعة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة و هذا ما أكدت عليه سورة الإسراء قال تعالى :﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ ﴾ (الإسراء:7).

قال المراغي: "أي إن أحسنتم فأطعتم الله ولزمتم أمره وتركتم نهيه أحسنتم لأنفسكم، لأنكم تنفعونها بذلك في دنياها وآخرتها أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم أذى من أرادكم بسوء، ويرد كيده في نحره، وينمّي لكم أموالكم، ويزيدكم قوة إلى قوتكم، وأما في الآخرة فإن الله يثيبكم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ويرضى عنكم، وإن عصيتم ربكم وفعلتم ما نهاكم عنه فإلى أنفسكم تسيئون لأنكم تسخطونه، فيسلط عليكم في الدنيا أعداءكم، ويمكّن منكم من يبغى بكم السوء، ويلحق بكم في الآخرة العذاب المهين"[2].

---

[1]- الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (505/8).

[2]- المراغي: **تفسير المراغي** (14/15-15).

3 - دوام التقوى:

التَّقْوى هي حصن المؤمن من محارم الله وطريق الخائفين الذين يخشون الله وهي من أوثق العرى للخشية من الله واجتناب نواهيه والالتزام بأوامره. فالمؤمن دائما يتذكر عذاب الله يوم القيامة كما بينت سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء:97) فالتقوى تجعل النفس في وقاية مما يخاف.

يقول الأصفهاني : "والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوًى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات"[1].

وعرفها سيد قطب :" بأنها حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواك الطريق... طريق الحياة... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعا ولا ضرا وعثرات غيرها من الأشواك"[2]. نلاحظ مما سبق أن التقوى خير دواء من الفواحش والآفات، لأنها تجعل الإنسان دائم المراقبة والحذر الدائم، بجعل مخافة الله نصب عينيه، وأنه مراقب من الله في كل أوقاته.

ثالثا - التكافل الاجتماعي ضمان قوي لصون الفرد:

لقد حث الإسلام على التكافل وجعله وسيلة لحفظ المجتمع من الوقوع في الرذائل والفواحش؛ لأن به يستقيم الفرد، فلا يكون عرضة لمصائد الشيطان وبه صلاح المجتمع.

---

[1]- الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** (881/1).

[2]- قطب : **في ظلال القرآن** (39/1).

يقول الدكتور عبد العزيز الخياط:" التكافل هو أن يعيش الأفراد في كفالة الجماعة كما تكون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم "[1]، هذا التكافل في المجتمع، هو الضمان لحسن سير الأمور.[2] ولن يكون صلاح المجتمع إلا كما صوّره الإسلام وعني به؛ نظاما يكوِّن الأسرة وينظِّمها ومنه يكون بناء المجتمع.

يقول سيد قطب:" لقد عني الإسلام بالتكافل الاجتماعي أن يكون نظاما لتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي وأن يكون نظاما لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها وأن يكون نظاما للعلاقات الاجتماعية "[3]. وبهذا التكوين يحصل التضامن لأبناء المجتمع.

يقول الأستاذ عبد الله علوان:" لا بد أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفرادا أو جماعات حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم... "[4].

وهذا التكافل يقرره صريح القرآن، قوله تعالى﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء:26)[5]. فالتكافل يضمن للمجتمع الاكتفاء، ويمنعهم من الوقوع في الآفات، خاصة آفة الزنا، وهذا التكافل يتجسد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ،الذي رواه أبو مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**[6].

يقول ابن بطال في شرح الحديث: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا فى أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق، فينبغي للمؤمنين استعمال أدب نبيهم والاقتداء بما

---

[1] - الخياط ، د. عبد العزيز ، **المجتمع المتكافل في الاسلام**. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1981م) (ص74) بتصرف.

[2] -انظر: قطب، محمد ، بن إبراهيم : **منهج التربية الإسلامية**. 2مج. ط16. دار الشروق. (90/1)

[3]- قطب ، سيد ، **دراسات إسلامية** دار الشروق ، ط10. (1422هـ-2002م) (ص63).

[4]- علوان ، د.عبد الله ناصح ، **التكافل الإجتماعي في الإسلام**. دار الإسلام. د.ط. (ص9) بتصرف.

[5] _ تقدم الكلام في الآية **المبحث الثالث، مراعاة حق المسكين وابن السبيل** (ص50).

[6] - **تقدم تخريجه** : (ص57-58).

وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة، وتشبيكه بين أصابعه تأكيدًا لقوله وتمثيلا لهم كيف يكونون فيما خولهم من ذلك[1].

قلت: هذا هو العلاج العام من آفة الزنا، وهناك أيضا احترازات متعلقة بالرجل والمرآة، فإذا ما التزم بها كلاهما كانت حصنا منيعا لهما من الوقوع في هذه الفاحشة ،وهي كما يلي :

أولا : الاحترازات الواجبة في حق المرآة:

1):إلتزام المرآة بيتها، لقوله تعالى﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الأحزاب:33)، وقال ابن منظور:"عندي من القرار. وقاره مقارة أي قرِّ معه وسكن"[2].

فأمر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وأعلمهن أنه فعل الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى[3] وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى.[4]. وهذا هو الأصح ويتفق مع شريعة الله، وهذا هو نهج الصحابة، الذين عدوا بحكم الآيات إلى غير صورة سببها كنزول آية الظهار.[5] وهذا شأن كل خطاب في القرآن والسنة، فإنه فإنه يراد به العموم لعموم التشريع ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يرد دليل يدل على الخصوصية، ولا دليل هنا.[6] وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا. إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناء طارئا لا يثقلن فيه ولا يستقررن[7]. لأن خروج المرأة من بيتها متبرجة؛ مدعاة للنظر اليها

---

[1]- ابن بطال : **شرح صحيح البخاري** (9/ 227) بتصرف.

[2]- ابن منظور **: لسان العرب** ، فصل القاف (85/5).

[3]- ابن عطية : **المحرر الوجيز** (383/4).

[4]- القرطبي :**الجامع لأحكام القرآن** (178/14).

[5] -انظر: القطان ، مناع : **مباحث في علوم القرآن**. ط11. القاهرة : مكتبة وهبة . (1421هـ- 2000م) (ص80).

[6]- ابن غيهب : **حراسة الفضيلة** (31/1).

[7]- قطب**: في ظلال القرآن** (2859/5).

اليها وإثارة شهوات الرجال، لذلك حذرت سورة الإسراء من كل شيء يقرّب من الزنا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32).

2) **إخفاء الزينة وعدم إظهارها**[1].

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32)

وإظهار الزينة من دواعي الزنا، وحذّر الله منها في قوله تعالى ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:31).

3) **الحذر من الخضوع في القول و إلانة الحديث:**

إنّ الخضوع في القول وإلانة الحديث من شأنه أن يثير أصحاب القلوب المريضة، لما فيه من إثارة للشهوة، وهو من الأمور التي حذرت منها سورة الإسراء بعدم الاقتراب من الزنا، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32) ومن دواعي الاقتراب من الزنا الخضوع في القول، لذلك جاءت الآيات تحذر منه، قال تعالى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحزاب:32). يقول الإمام الماوردي:"{ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ } أي لا ترققن الكلام، ولا

[1]- **تقدم الحديث في زينة المرأة** (ص97)

ترخصن، ولا تلن فيكون فيه الهوى المريب مما يدخل قلب الرجال "[1].

وقال الإمام الواحدي:"لا تقلن قولا يجد به منافق أو فاجر سبيلا إلى الطمع في موافقتكن به"[2]. يكون فيه ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم![3] لأن الخضوع بالقول ما يدخل في القلب الغزل[4] وإن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة، وتجاه كل امرأة[5]، وقد بيّن الله تعالى الحكمة من ترك الخضوع في القول، وإلانة في الكلام وترقيقه. يقول الله تعالى: ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ (الأحزاب:32) أي من به شهوة الزنى والفجور[6].

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ الله منع الخضوع في القول وحذر منه؛ لكي لا يطمع من في قلبه مرض، والمقصود بالمرض، الزنا والعياذ بالله، وهذا لا يعني أن لا تتكلم المرأة؛ ولكن عليها الحذر والحرص من الليونة في الكلام والخضوع فيه قال الواحدي: " والمرأة مندوبة إذا خاطبتِ الأجانبَ إلى الغِلْظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة، وكذلك إذا خاطبتْ مَحرماً منها"[7].

4) أن تحذر المرأة من دخول أجنبي عليها من غير محرم:

إنّ دخول الأجنبي على المرأة من غير محرم، من مقدمات الزنا التي أمر الله باجتنابها وعدم قربها خوفا من نزغات الشيطان، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ (الإسراء:32)، هذا وقد جاءت الأحاديث محذرة من مغبة

---

[1]- انظر: الماوردي : **النكت والعيون** (4/398 -399).

[2]- الواحدي : **التفسير الوسيط** (3/469)، انظر : االبغوي :**تفسير البغوي**(3/635).

[3]- قطب، سيد **: في ظلال القرآن** (5/2859).

[4]- ابن حيان : **البحر المحيط** (8/475).

[5]- قطب : **في ظلال القرآن** (5/2859).

[6]- انظر : الماوردي : **النكت والعيون** (4/399) ،انظر: الواحدي: **التفسير الوسيط** (3/469).

[7] - الواحدي : **التفسير الوسيط** (3/469) ، انظر : البغوي : **تفسير البغوي** (6/348) ، انظـر : ابـن الجـوزي : **زاد المسير**(3/461).

هذا الفعل كما في حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:**"إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ" فَقَالَ رَجُلٌ[1] مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ[2]؟ قَالَ: "الحَمْوُ المَوْتُ"**[3].

يقول ابن بطال:"والنهى عن أن يدخل على المغيبة[4] صهر ولا غيره خوف الظنون ونزغات الشيطان؛ لأن الحمو قد يكون من غير ذى المحارم، وإنما أباح عليه الصلاة والسلام أنّ يخلو مع المرأة من كان ذا محرم منها"[5].

قال الشوكاني:" والخلوة بالأجنبية مجمع على تحريمها وعلة التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما وحضوره يوقعهما في المعصية، وأما مع وجود المحرم فالخلوة بالأجنبية جائزة لامتناع وقوع المعصية مع حضوره"[6].

ثانيا : الاحترازات المتعلقة بالرجل .

1 - غض البصر[7]:

وهو مما حذرت منه سورة الإسراء في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:32) فهو من المنهيات التي أُمرنا بالابتعاد عنها[8]. وقال الله

---

[1]- قال ابن حجر : **فتح الباري** : لم أقف على تسميته (331/9).

[2] - الحَمْوُ: أبو الزّوج، وأخو الزّوج، وكلّ من ولي الزّوج من ذي قرابته. فهم أحماء المرأة : الفراهيدي : **العين** ، بـــاب الحاء والميم ، (311/3) ، انظر : ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة حمو (197/14).

[3] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة ، حديث رقم 5232(7/ 37). مسلم : **صحيح صحيح مسلم** ،كتاب الآداب ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ، حديث رقم 2172 (1711/4).

[4] - المُغيبة، وهو بضم الميم وكسر الغين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة، وهي التي غاب عنها زوجها، يقال: أغابت المرأة إذا غاب زوجها فهي مغيبة: انظر : القاري : **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (213/20).

[5]- ابن بطال **: شرح صحيح البخاري** (358/7).

[6]- الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني ت 1250هـــ: **نيل الأوطار**. 8مج. تحقيق عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث. (1413هـــ).(134/6).

[7] - غض البصر من الأمور العامة للوقاية من الزنا ، ويشترك في ذلك الرجل والمرأة وتقدم الحديث عنه **في أسباب الزنا الزنا ودوافعه** (ص94).

[8] - الخادمي: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الحنفي ت 1156هـــ: **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية.** 4مج. مطبعة الحلبي. د.ط. (1348هـــ) (58/4).

تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء: 36) .

و فيه أن المرء يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده وكل الجوارح و الأعضاء [1].

2 - اجتناب لمس المرأة الأجنبية:

وهو مما حذّرت منه أيضا سورة الإسراء في قوله تعالى﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء:32) فهو من المنهيات التي أُمرنا بتجنبها، والحذر من الاقتراب منها لأنها سبب مباشر في وقوع الزنا؛ لأن فيه هيجان الشهوة عند الرجل والمرأة سواء، واللمس من الجوارح التي سوف يسأل عنها صاحبها. قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء:36) قال المراغي:" أي إن الله سائل هذه الأعضاء عما فعل صاحبها كما قال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (النور :24)"[2].

وقد بيَّن النبي _صلى الله عليه وسلم حرمة مصافحة النساء ولمس المرأة الاجنبية، **قالت عائشة: لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالكَلاَمِ، وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: "قَدْ بَايَعْتُكُنَّ" كَلاَمًا.**[3] وفيه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأن صوتها ليس بعورة وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة كتطبب وفصد[4] وحجامة وقلع ضرس ضرس وكحل عين ونحوها مما لا توجد امرأة تفعله جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة[5].

3 **إجتناب الخلوة بالمرأة بالأجنبية**[6].

---

[1] - البغوي: **تفسير البغوي** (133/3). بتصرف.

[2] _ المراغي: **تفسير المراغي** (46/15).

[3] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الطلاق ، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية ، حديث رقم 5288(49/7) مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب الإمارة ،باب كيفية بيعة النساء ، حديث رقم 1866(1489/3).

[4] _الفصد: قطع العروق. وافتصد فلان: قطع عرقه ففصد. والفصيد: دم جعل في معى من فصد عروق الابل، ثم شوي فأكل الفراهيدي: **العين** ، مادة الصاد والدال والفاء، معهما ص د ف، ف ص (102/7).

[5]- النووي : **المنهاج شرح صحيح مسلم** (11/13).

- [6] تقدم الحديث عن الخلوة في ، **أسباب الزنا ودوافعه : خلو الرجل بالمرأة**. (ص95).

المبحث الرابع

حرمة مال اليتيم والنهي عن قرب ماله

المطلب الأول: الاهتمام بأموال اليتيم

لقد حذّر الإسلام من قرب مال اليتيم أشدّ تحذير، وأمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح لليتامي في أموالهم ونهى عن قربان أموالهم إلا بالتي هي أحسن وقد بينت سورة الإسراء حرمة الاقتراب من مال اليتيم، قال تعالى﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾(الإسراء:34) فالآية تحث على الاهتمام بأموالهم، حتى يبلغوا أشدهم، ثم وجوب الوفاء بالعهد، ودفع الأموال لهم عند الكبر، وهذا من رحمة الله بهذا اليتيم.

قال الرازي:"لأن أعز الأشياء بعد النفوس الأموال، وأحق الناس بالنهي عن إتلاف أموالهم هو اليتيم لأنه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره بإتلاف ماله، فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن إتلاف أموالهم فقال:{ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ }"[1].

يقول السعدي:" وهذا من لطفه ورحمته تعالى باليتيم الذي فقد والده وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها أن أمر أولياءه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وأن لا يقربوه {إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} من التجارة فيه وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك ممتد إلى أن {يَبْلُغَ} اليتيم {أَشُدَّهُ} أي: بلوغه وعقله ورشده، فإذا بلغ أشده زالت عنه الولاية وصار ولي نفسه ودفع إليه ماله"[2].

يقول ابن حيان:" هذا نهي عن القرب الذي يعمّ جميع وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة إلا بالتي هي أحسن أحسن في حق اليتيم ولم يأت إلا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاة لماله ، ونص على اليتيم لأن الطمع فيه أكثر لضعفه وقلة مراعاته. وهو أن يعمل له عملا

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب** (336/20).

[2] - السعدي : **تفسير السعدي** (457/1).

مصلحا فيأكل منه بالمعروف وقت الحاجة فالأحسن إذ أثمر مال اليتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرها"[1]. يقول المراغي:" والنهى عن القرب من الشيء أبلغ من النهى عنه، فإن الأول يتضمن النهى عن الأسباب والوسائل المؤدية إليه، وعن الشبهات التي هى مظنة التأويل، فيبتعد عنها"[2].

قلت: ويجب المحافظة على مال اليتيم سواء كان ميراثاً أو هبة تعود إليه أو غيرها من المصادر وعدم التجاوز على حقوق هؤلاء الضعفاء والمحافظ على مال اليتيم له أجر عظيم عند الله ، لقوله عليه الصلاة:" **أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا" وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى"**[3] فبيَّن النبي أنَّ الاهتمام باليتيم سبب في دخول الجنة، فالواجب على ولي اليتيم أن يعمل بما يتوافق مع هذا الحديث والآية الكريمة في سورة الإسراء:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الإسراء:34) وذلك هو الإصلاح في أموال اليتامى وإن الواجب على ولي اليتيم هو عمل الأصلح له، بحفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه، أو يتجر له في ماله فينميه له، وأن يرد له هذا المال عند وصول اليتيم إلى الكمال الجسمي والعقلي؛ وهذا ما دلت عليه الآية في قوله تعالى: وَلَا حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ }، والذي يدلل على ذلك المجيء بحرف (حتى) والذي يفيد انتهاء الغاية؛ قال المراغي " وهي مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة، ولبلوغه طرفين، أدناهما الاحتلام الذي هو مبدأ سن الرشد والقوة التي يخرج بها عن كونه يتيما أو سفيها أو ضعيفا"[4] وهي الغاية الجسمية والعقلية، وأن يدفع إليه ماله من باب الوفاء بالعهد، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:34)، والوفاء بالعهد من المضامين الاجتماعية التي بينها الله في هذه السورة، والوفاء من تمام العبودية لله؛ لأن الآية جاءت في سياق العطف على عبادة

---

[1] - ابن حيان: **البحر المحيط في التفسير.** (689/4) بتصرف.

[2] - المراغي: **تفسير المراغي** (69/8).

[3] -البخاري: **صحيح البخاري** كتاب الآداب ، باب فضل من يعول يتيما حديث رقم 6005 (9/8).

[4] -المراغي: **تفسير المراغي** (69/8).

الله وتوحيده، فمن خان العهد بالوفاء بمال اليتيم، فستكون الخيانة في الوفاء بعهد الله، فالأمور كلها متعلقة بالله جل وعلا، فليحذر الذين يخالفون أمر الله أن يصيبهم سخط من الله ونقمة، والتحذير من خيانة العهود، وهذا ديدن بني إسرائيل، الذين لم يحترموا عهدا لا من قريب ولا بعيد، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، قال تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ ﴾ (البقرة:100) وورود العهد في هذه السورة له دلالة عظيمة، وهي التي تسمى بني إسرائيل، فالله يحذرنا ويحذر كافل اليتيم من مجرد التفكير في خيانة العهد؛ لأن المصير معروف، كمصير بني إسرائيل، الذين لم يرقبوا في مؤمن عهدا، والعهد في الآية عهد مع الله، والوصيّ إذا حافظ على عهده مع اليتيم فقد حافظ على عهده مع الله.

المطلب الثاني: وعيد القرآن لآكل مال اليتيم

توعَّد الله عز وجل الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا وقهرا بأنّهم سيُلقى بهم في نار جهنم، وهذا الوعيد من أهم طرق الحفاظ على مال اليتيم؛ لأن ولي اليتيم سيكون دائما حذرا أشد الحذر من الاقتراب من ماله، وهذا ما قررته سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ (الإسراء:34) وقوله الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ (النساء: 10) ، وقال تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ١٥٢ ﴾ (الأنعام: 152)، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ (النساء:10).

قال الرازي: فيه تأكيد على الوعيد في أكل مال اليتيم ظلما، ودلالة على أن مال اليتيم قد يؤكل بغير ظلم، وإن أكل مال اليتيم جار مجرى أكل النار من حيث إنه يفضي إليه ويستلزمه...

وأضاف الرازي قائلا : "الأكل لا يكون إلا في البطن فما فائدة قوله: إنما يأكلون في بطونهم نارا؟ قال : والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة[1].

[1]- انظر:الرازي: **مفاتيح الغيب** (9/506-507) بتصرف.

المبحث الخامس

آفة خيانة العهد

المطلب الأول: تعريف العهد

عرفه الفارابي بقوله:" العَهْدُ: الأمانُ، واليمينُ، والموثقُ، والذمّةُ، والحِفاظُ، والوصيةُ"[1].

وعرفه الجرجاني بقوله:" هو حفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال، هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي تلزم مراعاته، وهو المراد"[2].

المطلب الثاني:أهمية العهد

لقد أكّد الله على أهمية العهد في سورة الإسراء تنبيها من الله لعباده على أهمية العهد وما له من علاقة وثيقة بالإيمان، المترتب على العلاقة مع الله، ومن ثم علاقته بالناس فالناس بفطرتهم يحتاجون إلى التعاون فيما بينهم ولن يستقيم هذا التعاون إلا بمراعاة العهد والوفاء به، وإلا فسيكون تنافر القلوب واختلال موازين الحياة، ولعظم أمره نبه الله على الوفاء بالعهد وشدد عليه، كما في قوله تعالى﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ (الإسراء:34) فالآية صريحة في الوفاء بالعهد وتعظيم أمره. قال رشيد رضا: فجاء الأمر بالوفاء بصيغة الجمع حتى يبيِّن أهمية الوفاء به[3]، مؤكدا ذلك بحرف التوكيد إنَّ، تنبيها وتأكيدا على أهمية العهد في المضامين الإجتماعية.

قال الرازي:" واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد، وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا، لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق، فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به، كان الوفاء به تعظيما لأمر الله، فثبت أن العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات والوفاء بالعهد، كما يمكن في حق

---

[1]- الفارابي : **مختار الصحاح** ، ماده عهد (515/2).

[2] الجرجاني : **التعريفات** (159/1).

[3] - انظر: رضا، رشيد: **تفسير المنار** (2226/4).

الغير يمكن أيضا في حق النفس لأن الوافي بعهد النفس هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات"[1].

لذلك نلاحظ أن آية العهد أُتبعت بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء:36). فقد تحدثت الآية عن التثبت من الحق. وأهميته في حياة المرء، في كلمات قليلة.

قال سيد قطب: هذه الكلمات القليلة تقيم منهجا كاملا للقلب والعقل، يشمل منهج البشرية، ومعه استقامة القلب ومراقبة الله، منهج ميّز الإسلام على المناهج العقلية الجافة! فالتثبت من كل خبر دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. و متى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة. ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية.

والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف مما جاء به هذا الدين، ويجعل الإنسان مسئولا عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد..

وهي أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. وهي أمانة يُسأل عنها صاحبها، وتُسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا. {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ } .. ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تتثبت من صحته[2].

قلت: وذكر العهد في سورة الإسراء خاصة، وهي التي سميت بسورة بني إسرائيل نسبة إليهم، وله علاقة مباشرة بهذه السورة؛ لأن عدم الوفاء بالعهد خيانة، وبنو إسرائيل من صفاتهم الخيانة، والله أعلم.

نلاحظ أن الله قد ختم الآيات بقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الإسراء:32).فما الحكمة من ذلك؟

---

[1]- الرازي : **مفاتيح الغيب** (265/8).

[2]- قطب : **في ظلال القرآن** (2227/4) بتصرف.

قال النعماني:" إعلم أنه تعالى أمر بخمسة أشياء أولا، ثم نهى عن ثلاثة أشياء، وهي الزنا، والقتل، وأكل مال اليتيم، ثم أتبعه بهذه الأوامر الثلاثة، وختم ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ ﴾.

واعلم أن كل عقد يعقد لتوثيق أمر وتوكيده، فهو عهد؛ كعقد البيع والشركة، وعقد اليمين والنذر، وعقد الصلح، وعقد النكاح، فمقتضى هذه الآية أن كل عهد وعقد يجري بين إنسانين، فإنه يجب عليهما الوفاء بذلك العقد و العهد إلاَّ إذا دلَّ دليل منفصلٌ على أنه لا يجب الوفاء به"[1].

والآيات جاءت كلها معطوفة على عبادة الله، وهو الوفاء بعهد الله، ومن خان عهد الله ، فسوف يخون كل العهود، لأن أعلاها عهد العبد مع ربه، فإن الله خلق الإنسان وصيره بقدرته وأسبغ عليه نعمه، وطلب منه أن يحفظ العهد وهذا تجلّى في قوله تعالى﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾ (يس:60 -61).

والموفون بالعهد هم عباد الله المخلصين، ولا سبيل للشيطان عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ ﴾ (الإسراء:65) العباد الذين اتخذوا من القرآن منهجاً لحياتهم، ويلجئون إليه في كل حياتهم لمعالجة مشاكلهم الدينية والدنيوية.

ومن هنا جاءت أهمية الوفاء بالعهد، ومن أهم هذه العهود؛ بعد عهد الله، الوفاء بعهد الوالدين لأن ذكرهما جاء مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾ (الإسراء: 23) فدل ذلك أن أعظم وفاء للعهد بعد عهد الله

[1]- النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ت775هـ: **اللباب في علوم الكتاب**.20مج. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية،(1419 ه).(277/12).

هو عهد الوفاء للوالدين والوفاء في الوعد وفي العهد خلق المؤمنين، ونقض العهد والإخلاف فيه من صفات المنافقين وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** "[1].

قال الصنعاني:" الحديث دليل على أن من كانت فيه خصلة من هذه كانت فيه خصلة من النفاق، فإن كانت فيه هذه كلها فهو منافق"[2]، وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ** "[3]، قال ابن بطال: " نقض عهدًا عاهده عليه"[4].

يتبين لنا من خلال الأحاديث مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالعهد؛ لأن الوفاء به من صفات المؤمنين، وخيانته صفة المنافقين، وإن دل الأمر على شيء؛ فإنما يدل على مدى أهميته، لذلك جاء حِرص الإسلام على هذا الأمر لما فيه من خير للأمة، من حيث تآلف القلوب ودفع الكراهية، والذي من شأنه أن يجعل المجتمع مجتمعا مستقرا خاليا من الغدر فلا ينقضون عهدا أبرموه، فالوفاء تتعدد أشكاله وألوانه وفاء لله سبحانه وتعالى، وهذا إنّما يكون بالإيمان به والخضوع له واتباع أوامره، واجتناب نواهيه ووفاء للرسول صلى الله عليه وسلم بمحبته وإتباع سنته والاهتداء بهديه والاقتداء بأخلاقه. و وفاء للعقيدة والدعوة، وحفظ الحقوق بين العباد.

---

[1]- البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم 33 (16/1)، مسلم : **صحيح مسلم** كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافقين، حديث رقم 58 (78/1).

[2]- الصنعاني: **سبل السلام** (662/2).

[3]- البخاري **: صحيح البخاري** ،كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا، حديث رقم 2227 (82/3)

[4]- ابن بطال: **شرح صحيح البخاري** (349/6).

المبحث السادس

آفة عدم الوفاء بالكيل والميزان وفيه

لقد عنيت سورة الإسراء بجانب المعاملات، والكيل والميزان من المعاملات الشائعة بين الناس، وهي آفة من الآفات التي تعصف بالمجتمعات عامة، فجاء القرآن محذرا من هذه الآفة لما فيها من أكل لحقوق الناس، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾(الإسراء:35). فعلى المسلم أن يتحرى العدل في الكيل والميزان ما استطاع، **وأن يجعل من** وهذه المعاملات دستوراً له في حياته وعلاقاته ومعاملاته كلها.

المطلب الأول: عرض سورة الإسراء لآيات الكيل و الميزان

إن الناظر لآية الكيل والميزان، يجد أن السورة كانت بالغة الروعة في عرضها لها، فقد عرضتها بأساليب متعددة رائعة تبعث على الاطمئنان في القلب، ومن هذه الأساليب:

أولا: أسلوب الأمر[1]:

لقد عرضت السورة الكيل والميزان بأسلوب الأمر؛ لبيان أهميته، والتحذير منه، وبينت السورة مدى عناية الإسلام بهذا الأمر. قال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾(الإسراء:35)

يقول ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ يَأْمُرُ تَعَالَى بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ".[2] وهو أمر بالاعتدال [3]. وهذا يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ

---

[1] - الثعالبي :أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ت: 875هـ: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**.تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.ط1.بيروت: دار إحياء التراث العربي.(1418 هـ) (429/2).

[2]- ابن كثير : **تفسير ابن كثير** (364/3).

[3] - الثعالبي : **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** (529/2).

والتحرز. وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين، ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه[1] بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه[2].

ويقول ابن عاشور:" عطف الأمر بإيفاء الكيل والميزان، وذلك في التبايع، فقد كانوا يبيعون التمر والزبيب كيلا، وكانوا يتوازنون الذهب والفضة، فكانوا يطففون حرصا على الربح، فلذلك أمرهم بالوفاء. وعدل عن أن يأتي فيه بالنهي عن التطفيف كما في قول شعيب: ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ ﴾ (هود: 84) إشارة إلى أنهم مأمورون بالحد الذي يتحقق فيه العدل وافيا، وعدم النقص يساوي الوفاء، ولكن في اختيار الأمر بالإيفاء اهتماما به لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء لا إلى جانب ترك التنقيص، وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتمادحون به كأنه قيل لهم: أين سخاؤكم الذي تتنافسون فيه فهلا تظهرونه إذا كلتم أو وزنتم فتزيدوا على العدل بأن توفروا للمكتال كرما بله أن تسرقوه حقه. وهذا تنبيه لهم على اختلال أخلاقهم وعدم توازنها"[3].

ونلاحظ أن المولى عز وجل، استعمل كلمة (أوفوا) ولم يقل (وفّوا)،قلت: لأن كلمة وفّوا هي إعطاء الحق كاملا، والمقام هنا ليس له علاقة بالتوفية إنما الحديث عن الوفاء بالعهد بما يقع تحت القدرة البشرية.

ثانيا: عرضه بأسلوب الترغيب:

لقد استعمل القرآن في آيات الكيل أسلوب الترغيب، كون الترغيب يحدث في القلب رقة ويزهده في هذه الدنيا، ويرغبه في الآخرة، فيجعل الله نصب عينيه، ليعلم أن الله رقيبه في السر والعلن، فلا يبخس الناس شيئا، لأنه يعلم أن له في ذلك الخير في الدنيا من محبة الناس له والإقدام عليه،

---

[1] -القرطبي : **تفسير القرطبي** (136/7).

[2] - الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي : 741هـ: **لباب التأويل في معاني التنزيل.** تحقيق وتصحيح محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ) (172/2).

[3] -انظر: ابن عاشور **: التحرير والتنوير** (8أ/165).

وما أعده الله من الجزاء،قال تعالى ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾ (الإسراء:35) وقوله وأحسن تأويلا، قال البغوي:"أي أحسن عاقبة"[1] فبان الترغيب فيه.

المطلب الثاني: عناية سورة الإسراء بالكيل والميزان

لقد اعتنت السورة بالكيل والميزان؛ وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أهمية الأمر. وهو من الأمور الشائعة في مجتمعنا المسلم والمجتمعات عامة، فكثيرا ما نرى خلال حياتنا اليومية طريقة استعمال الكيل والميزان، فكثيرا من الناس لا يخشون الله في هذا الأمر فتراهم يتساهلون فيه وهم لا يعلمون أن في ذلك سخط الله، وأن إيفاءهم الكيل فيه خير الدنيا والآخرة، وقد بينت سورة الإسراء هذا الأمر، في قوله تعالى ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾ (الإسراء:35).

يقول رشيد رضا في تفسير الآية:" أن أوفوا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم، والميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما تبيعون، فليكن كل ذلك وافيا تاما، بالقسط أي العدل ولا تكونوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، أي ينقصون الكيل والوزن، وهم الذين توعدهم الله بالويل والهلاك. فهذا هو النهي المقابل للأمر بالإيفاء وهو لازم له، فالجملة موجزة، فكلمة (بالقسط) هي التي بينت أن الإيفاء يجب أن يكون من الجانبين في الحالين، أي أوفوا مقسطين أو ملابسين للقسط متحرين له"[2]. يقول سيد قطب: والسياق يربطها بالعقيدة لأن المعاملات في هذا الدين وثيقة الارتباط بالعقيدة. والذي يوصي بها ويأمر إنما هو الله. ومن هنا ترتبط بقضية الألوهية والعبودية، وتذكر

---

[1]- البغوي **: تفسير البغوي** (132/3).

[2]- رضا، رشيد : **تفسير المنار** (168/8).

في هذا المعرض الذي يبرز فيه شأن العقيدة، وعلاقتها بكل جوانب الحياة. حيث يربط السياق القرآني بين قواعد التعامل في المال والتجارة والبيع والشراء، وبين هذا المعرض الخاص بالعقيدة، للدلالة على طبيعة هذا الدين، وتسويته بين العقيدة والشريعة، وبين العبادة والمعاملة، في أنها كلها من مقومات هذا الدين، المرتبطة كلها في كيانه الأصيل[1]. والقضية هنا هي قضية الأمانة والعدالة - بعد قضية العقيدة والدينونة - أو هي قضية الشريعة والمعاملات التي تنبثق من قاعدة العقيدة والدينونة.

ومن ثم تبدو علاقة عقيدة التوحيد والدينونة لله وحده بالأمانة والنظافة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء، ومكافحة السرقة الخفية سواء قام بها الأفراد أم قامت بها الدول. فهي بذلك ضمانة لحياة إنسانية أفضل، وضمانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس. وهي الضمانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، فتستند إلى أصل ثابت، لا يتأرجح مع المصالح والأهواء... إن المعاملات والأخلاق لا بد أن تستند إلى أصل ثابت لا يتعلق بعوامل متقلبة... هذه هي نظرة الإسلام[2].

وأما النهي عن بخس الناس أشياءهم فيرجع إلى حفظ حقوق البائع لأن المشتري هو الذي يبخس شيء البائع ليهيئه لقبول الغبن في ثمن شيئه، وكلا هذين الأمرين حيلة وخداع لتحصيل ربح من المال[3].

إن عدم الوفاء بالكيل والميزان يؤدي الى انتشار الفساد، والضغينة بين الناس وهي مفسدة عظيمة لأنها تجمع خُصل الاحتيال والسرقة والغدر. يقول الرازي: "والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه. وكل ذلك من أكل المال بالباطل". [4] وهو موقف سلبي، لا ترضاه الحياة ...

---

[1]- قطب: **في ظلال القرآن** (1233/3) بتصرف.

[2] - **المصدر السابق** (1917/4) بتصرف.

[3]- ابن عاشور : **التحرير والتنوير** (8 -ب/243- 244- 245) بتصرف.

[4]- الرازي **: مفاتيح الغيب** (384/18).

وإنه لحسن أن ينتهي الإنسان عن الشر، ولكنه ليس بالحسن أن يكون أداة معطلة عن فعل الخير...[1] وإن استمرار هذه الآفة من الإفساد الذي يعطل شرع الله.

يقول المراغي: والإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في عصرنا أي لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهى تعمد الإفساد، لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين[2] فلا تفسدوا متعمدين الإفساد، قاصدين إلى تحقيقه[3].

ندرك مما تقدم أهمية الوفاء بالكيل، وارتباط الأمر بقضية الألوهية والعبودية، وإن المعاملات والأخلاق لا بد أن تستند إلى أصل ثابت لا يتعلق بعوامل متقلبة، لأنها ضمانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس. وهي الضمانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، والخيانة وعدم الوفاء بالكيل والميزان يؤديان إلى انتشار الفساد، والضغينة بين الناس وهي مفسدة عظيمة لأنها تجمع خُصل الاحتيال والسرقة والغدر، وهو تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وهو من الإفساد في الأرض؛ وفيه تعطيل لشرع الله.

---

[1]- الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (1186/6).

[2]- المراغي **: تفسير المراغي** (70/12 -71) بتصرف.

[3]- قطب **: في ظلال القرآن** (1918/4).

المبحث السابع

آفة الكبر

المطلب الأول: تعريف الكبر

عرفه الأصفهاني فقا :"الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره"[1]. وقال الإمام الغزالي:"هو استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير"[2].

المطلب الثاني: أنواع الكبر

لقد ذم الله سبحانه وتعالى الكبر في كتابه العزيز، والكبر من المضامين الاجتماعية التي جاء الإسلام لعلاجها، من خلال سورة الإسراء، وهو آفة من الآفات، ومرض اجتماعي متفشٍّ في المجتمع، والكبر مرض باطني ينعكس ظهوره في الأقوال والأفعال، وغالبا ما يكون في عُجب الرجل بنفسه، ولو في أقل شيء، كطريقة مشيه مثلا ، وقد حذر الله من هذه الظاهرة في قوله تعالى﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء:37).

أولا: الكبر على الله:

إن أشد أنواع الكبر، هو التكبر على الله، وأول من تكبر على الله هو ابليس، فاخرجه تكبره من رحمة الله، وهو أول كفر وسببه الكبر، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ ﴾ (الإسراء:61)، قال فخر الدين الرازي" فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر"[3].

---

[1] - الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** (697/1).

[2] - الغزالي : **إحياء علوم الدين** (353/3).

[3] - الرازي : **مفاتيح الغيب** (365/21).

ثانيا: التكبر على الرسل وعدم اتباعهم:

والكبر على رسول الله متعلق بالكبر على الله، فإن الكبر قد منع هؤلاء من الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأكدت سورة الإسراء هذا الأمر في قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الإسراء:94). فهؤلاء من حسدهم وكبرهم، تذرعوا بعدم الإيمان؛ لأن من أرسل إليهم هو بشر مثلهم.

قال الإمام الرازي:" إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات[1] إلا لمحض الحسد وحب الرياسة والاستنكاف من الانقياد للحق"[2]. قال القرطبي:" فبين الله تعالى فرط عنادهم لأنهم قالوا: أنت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد"[3]. وما كلامهم إلا لكبر في أنفسهم، يمنعهم من الإيمان و الانقياد .

ثالثا: الكبر على العباد:

إنّ الكبر على العباد هو أن يستعظم الإنسان نفسه ويحتقر غيره من الناس ويزدريهم، فجاءت سورة الإسراء بدلالة صريحة تخاطب المتكبر بأفصح عبارة، وهي إن دلت فإنما تدل على ضعف هذا المتكبر، يقول تعالى: تعالى﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء:37). وأنّ صاحبه صغير القلب لا يساوي شيئا.

قال سيد قطب:" فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل، لا يبلغ شيئا من الأجسام الضخمة التي خلقها الله. إنما هو قوي بقوة الله، عزيز بعزة الله، كريم بروحه الذي نفخه الله فيه، ليتصل به ويراقبه ولا ينساه. ذلك التطامن والتواضع الذي يدعو إليه القرآن بترذيل المرح والخيلاء، أدب مع الله، وأدب

---

[1] - شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة ، انظر:الرازي : **مفاتيح الغيب** (410/21).

[2] الرازي : **المصدر السابق** (410/21).

[3] - القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** (332/10).

مع الناس.أدب نفسي و أدب اجتماعي. وما يترك هذا الأدب إلى الخيلاء والعجب إلا فارغ صغير القلب صغير الاهتمامات. يكرهه الله لبطره ونسيان نعمته، ويكرهه الناس لانتفاشه وتعالية"[1].

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على الكبر

أولا : عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله:

فهؤلاء لم يدركوا قيمة البشر وكرامتهم عند الله، ، فاستبعدوا أن يبعث الله بشرا رسولا، وما ذلك إلا لكبر قد كبر في صدورهم ، وهذا يظهر جليا في قوله تعالى في هذه السورة العظيمة، في قوله تعالى﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الإسراء:94). يقول سيد قطب"وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولا من عند الله. كذلك نشأ هذا الوهم من عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة"[2].

ثانيا: الاستهزاء بالداعية و الدعوة:

إنّ الاستهزاء بالداعية شأن المتكبرين، الذين يعرضون عن سماع الحق استهزاء واستكبارًا وقد بينت سورة الإسراء صورة من صور الاستهزاء بشكل يدل على عظم كبر هؤلاء، قال تعالى: ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ﴾ (الإسراء:51)، فهؤلاء من كبرهم يحركون رؤوسهم، استهزاء وتنكرا لدين الله.

قال سيد قطب:" ينغضونها علوا أو سفلا، استنكارا واستهزاء"[3]. وهذا حال الدعاة في كل زمان ومكان، والآيات في هذا الصدد كثيرة، فقد بينت سورة الأنبياء ما يتوافق مع سورة الإسراء في

---

[1]- قطب **: في ظلال القرآن** (2228/4).

[2] - قطب: **المصدر السابق** (2251/4).

[3]- قطب: **المصدر السابق** (2233/4).

حال المستهزئين من الدعاة ودعوة الله، فتكبرا وعلوا، قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنبياء: 36).

وقال السعدي : وهذا من شدة كفرهم، فإن المشركين إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهزؤوا به واحتقروه، بما هو من كماله، ولكن الحق أن هؤلاء المستهزئين هم محل الازدراء والاستهزاء، الذين جمعوا كل خلق ذميم، ولو لم يكن إلا كفرهم بالرب وجحدهم لرسله فصاروا بذلك، من أخس الخلق وأرذلهم، ومع هذا، فذكرهم للرحمن، الذي هو أعلى حالاتهم، كافرون بها، لأنهم لا يذكرونه ولا يؤمنون به إلا وهم مشركون فذكرهم كفر وشرك، فكيف بأحوالهم بعد ذلك؟ ولهذا قال: {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} ، وفي ذكر اسمه {الرَّحْمَنِ} هنا، بيان لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن - مسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه بالكفر والشرك[1].

ثالثا: التمرد و العناد:

ومن الآثار المترتبة على الكبر التمرد والعناد ولم تهمل سورة الإسراء هذا الجانب، كما أنها لم تهمل أي جانب من جوانب الكبر، فبيّنت السورة حال الكفار المعاندين والمتمردين على دين الله تكبرا منهم على الله وعلى شريعته ورسوله وهذا يتبدّى لنا من خلال قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (الإسراء: 89).

قال الشيخ الشعراوي: " هو التعنت العناد الذي حال بينهم وبين الإيمان بالله "[2]. فكبر هؤلاء وعنادهم وتمردهم على الحق، هو الذي جعل بينهم وبينه حائلا يمنعهم من الإيمان، ولم يكن ذلك عن عدم صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أُنزل عليه.

---

[1]- انظر: السعدي : **تفسير السعدي** (523/1)بتصرف.

[2] -الشعراوي : **تفسير الشعراوي** (8941/14).

وكم من الناس في عصرنا، تأخذهم الأنفة والكبر والعناد عن الاستجابة لهذا الدين، وإذا كلمتهم وضعوا أصابعهم في آذانهم تمردا وعنادا واستكبارا، حال هؤلاء كحال من سبقهم من الأمم التي أعرضت عن هذا الدين، وما أشبه اليوم بالأمس، وإن طالت السنون.

و الذين يعرضون عن هذا القرآن إنما يعرضون عن منهجه، كما حدث مع بني إسرائيل حين أعرضوا وصدوا عن التوراة، حيث أعرضوا عن تعاليمها ومنهجها ماذا كانت النتيجة؟ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الإسراء:41) لا يزيدهم التذكير إلا نفورا وبعدا عن الحق. وهذا شأن كل أمة تعرض عن كتاب ربها، عندما تعتقد أنها يمكنها معالجة أمور الأمة بما يتوافق و أهواء أهل الأهواء؛ فتراهم يذعنون لهم بعيداً عن القرآن نافرين من الحق؛ ظنا منهم أنهم بذلك سيصلون إلى العلاج، وليس ثمة علاج إلا في هذا القرآن العظيم.

رابعا: الصدود عن الحق:

وهذا جانب آخر وأثر من الآثار المترتبة على الكبر، التي بينتها سورة الإسراء، فوصفت هذه الفئة بما يتناسب مع حالها من التولي والاستكبار، قال تعالى﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الإسراء:46).

إنه موقف الصد عن آيات الله الذي جعل بينهم وبين القرآن حاجزاً يمنعهم من رؤية الحق الذي جاء به القرآن مع وضوحه وبلاغته وإعجازه.

قال سيد قطب:إن هؤلاء يصدون عن الحق، وهي كلمة التوحيد، التي تهدد وضعهم الاجتماعي، القائم على أوهام الجاهلية، وصدهم عن القرآن، وهم الذين لم يكونوا يملكون أنفسهم من الاستماع إليه والتأثر به، على شدة ما يمانعون قلوبهم ويدافعونها! ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع

والتأثر، والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان فيطلقون التهم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعتذرون بها عن المكابرة والعناد[1].

وحال هؤلاء ورد ذكرهم في سورة لقمان في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ (لقمان: 7).

قال المراغي: إن آيات الكتاب إذا تتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله - يعرض عن سماعها ويولّى مستكبرا، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه ثقلا، فلا يصيخ لها، ولا يأبه لتلقّفها وتأملها[2]. وهؤلاء كُثر في هذا الزمان، حيث نجدهم يستبدلون بالحق الباطل صدًا عن سبيل الله، وتراهم مستكبرين عن آياته، وعصرنا الحاضر أكبر دليل على ذلك، فنجد أن أعداء الإسلام يستعملون كل السبل الشيطانية للنيل من هذا الدين وإظهاره كعدو للإنسانية، فتراهم يطلقون عليه المسميات المختلفة، التي تتناسب وأهواءهم المغرضة.

خامسا: معاداة الرسل والدعوة والدعاة:

إن طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمصاعب، ولن يكون الطريق مذللا لهم، وهذا حال الرسل جميعا، فما من نبي إلا وأُوذي في قومه، ولم يسلم من العداء شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد لقي النبي العداء من أهله وقومه، حاله حال الرسل من قبل، وهذه سنة الله في رسله، اختبارا لهم بالصبر على هذا العداء، والعداء للرسل وللدعوة والدعاء من الآثار التي تطرقت لها سورة الإسراء، متجسدة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الإسراء:76).

---

[1]- انظر قطب : **في ظلال القرآن** (2232/4) بتصرف.

[2] - المراغي : **تفسير المراغي** (75/21) بتصرف.

قال عبد الكريم خطيب:" أي أن هؤلاء المشركين من قومك أيها النبىّ، قد أعنتوك، وأجلبوا عليك بكل ما استطاعوا من صور البغي والعدوان، حتى لأوشكوا أن يخرجوك من الأرض، أي يطردوك منها طردا، فلا يدعون لك موضعا فيها، تدعو فيه إلى الله، وتبلغ رسالته"[1].

هذا هو حال الأنبياء والرسل، وقد تفشى هذا الخلق في بني إسرائيل مع رسلهم وقد ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: 87).

من خلال ما ذكر نجد أن الكبر خطره كبير جدا على العقيدة وآفة من آفات هذا المجتمع التي حذر منها القرآن، وإن هذه الآفة تنتشر في المجتمع المسلم والمجتمعات عامة، وحري بالمجتمع المسلم أن يكون أول من ينبذ هذه الآفة ويحذر منها لما لها من آثار كفيلة أن تشيع الحقد والبغضاء بين أبناء الأسرة الواحدة، وقد أبدعت سورة الإسراء في عرض هذه الآثار.

المطلب الرابع: علاج الكبر

إنّ علاج كل آفة هو بإزالة سببها، والكبر من المهلكات وإزالته من مهمات الأمور لما فيه من خطر على العقيدة والمجتمع، وهذا المرض الخطير لا يزول بمجرد التمني، بل بالمعالجة، وهذا ما ظهر في سورة الإسراء، فقد شخّصت السورة هذا الداء الذي يسري في جسد الأمة، ولم تكتف السورة بذكر الداء؛ بل جاءت أيضا بالعلاج الشافي لهذا المرض.

إن أعظم علاج جاءت به سورة الإسراء لظاهرة الكبر، هو التواضع وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء:37).

قال أبو هلال العسكري:" التواضع إِظْهَار قدرَة من يتواضع لَهُ سَوَاء كَانَ ذَا قدرَة على التَّوَاضُع أَو لاَ "[2].

---

[1]- الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** (531/8).

[2]- العسكري : **الفروق اللغوية** (249/1).

قَالَ الفضيل بْن عياض:[1]"أن لا ترى لنفسك وتخضع للحق وتنقاد لَهُ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه"[2].وقال الجنيد[3]:" هو خفض الجناح للخلق ولين الجانب لَهُمْ"[4].

وقال الحسن البصري:" هو أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا"[5].

وقال أبو يزيد البسطامي:[6]"هو أن لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا. ولا يرى في الخلق شرا منه"[7].

و قال ابن القيم:"يعني أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل، والانقياد، والدخول تحت رقه. بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك في مملوكه فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع "[8].

قلت: التواضع هو عدم التعالي والتكبر على أحد من الناس لذلك فعلى المسلم أن يحترم الجميع مهما كانوا فقراء أو ضعفاء أو أقلّ منه منزلة.

---

[1] - **تقدمت ترجمته** (ص29).

[2] - القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ت 465هـ: **الرسالة القشيرية**. 2مج. تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف. د.ط. القاهرة : دار المعارف. (278/1) انظر :الهيتمي: **الزواجر عن اقتراف الكبائر** (129/1) انظر : السلمان: **موارد الظمآن لدروس الزمان** (150/4) انظر: ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ت 751هـ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. 2مج. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. (1416 هـ - 1996م) (314/2).

[3] - الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية : الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت 748هـ: **سير أعلام النبلاء**. 18مج. د.ط. القاهرة: دار الحديث. (1427هـ (176/17).

[4]- القشيري : **الرسالة القشيرية**(1/ 278) ، انظر: ابن القيم **: مدارج السالكين** (314/2).

[5]- الهيتمي : **الزواجر عن اقتراف الكبائر** (129/1).

[6] - أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور،له مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة.وكانت وفاته سنة إحدى وستين، وقيل أربع وستين ومائتين، رحمه الله تعالى.وطيفور: بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء.والبسطامي: نسبة إلى بسطام، وهي بلدة مشهورة ويقال: إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق:ابن خلكان : **وفيات الاعيان** (531/2) ، بتصرف ، انظر : الذهبي : **سير أعلام النبلاء** (86/13).

[7]- ابن القيم : **مدارج السالكين** (314/2).

[8] **-** ابن القيم : **المصدر السابق** (317/2).

إن التواضع صفة عباد الله، تتآلف به قلوب العباد قال تعالى﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ ﴾ (الإسراء:37).

وهو من الصفات الهامة التي حث عليها القرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يجب أن يتحلى بها كل مؤمن؛ لأن التواضع صفة المؤمنين فقد مدح الله عباده في كتابه العزيز، ومدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتواضعه للمؤمنين. قال تعالى مخاطبا نبيه: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ (الحجر:88).

يقول فخر الدين الرازي: " وخفض الجناح كناية عن اللين والرفق والتواضع، والمقصود أنه تعالى لما نهاه عن الالتفات إلى أولئك الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين"[1] ولأن رأس العبادات معرفة الإنسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتجبر، ولذلك فإن إبليس لما تجبر وتمرد صار مُبعدا عن رحمة الله تعالى"[2].

هذا هو خطاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، بإلانة الجانب للمؤمنين والتواضع لهم، فحري بنا نحن معشر المسلمين أن نتواضع لبعضنا البعض كما أمرنا الله، وما أعظمها من صورة بلاغية تجسد الرحمة بين المؤمنين حيث أمر نبيه بخفض جناحه للمؤمنين، وخفض الجناح إن دل فإنما يدل على الرفق والتواضع والسكينة والوقار.

يقول سيد قطب:" والتعبير عن اللين والمودة والعطف بخفض الجناح تعبير تصويري، يمثل لطف الرعاية وحسن المعاملة ورقة الجانب في صورة محسوسة"[3].

---

[1]- فخر الدين الرازي **: مفاتيح الغيب** (161/19).

[2]- **المصدر السابق** : (518/21).

[3]- قطب ، سيد **: في ظلال القرآن** (2154/4).

كما أن الله قد أثنى على عباده المؤمنين وأن من صفاتهم التواضع في الدنيا فلا يسعون إلى التكبر فيها. قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان:63).

يقول ابن كثير:" هذه صفات عباد الله المؤمنين {الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا} أَيْ: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، كما قال:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: 37). فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر"[1].

وقال سيد قطب:" إنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة، ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج، ولا تصعير خد ولا تخلع أو ترهل. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية، وعما يستكن فيها من مشاعر. والنفس السويّة المطمئنة الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة. فيها وقار وسكينة، وفيها جد وقوة.

وليس معنى:﴿ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ أنهم يمشون متماوتين منكسي الرءوس، متداعي الأركان، متهاوي البنيان كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح"[2].

وقال ابن عاشور:" والمشي الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم. وهذا الهون ناشيء عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي أهل الجاهلية. وعن عمر بن الخطاب أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له "إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله سبحانه وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا فاقصد في مشيتك، وحكى الله تعالى عن لقمان قوله لابنه ولا تمش في

---

[1]- ابن كثير: **تفسير ابن كثير**(121/6- 122).

[2]- قطب، سيد: **في ظلال القرآن** (2577/5).

الأرض مرحا والتخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرحمة المناسب لعباد الرحمان لأن الرحمة ضد الشدة، فالهون يناسب ماهيتها وفيه سلامة من صدم المارين "[1].

هذه هي صفات عباد الله المؤمنين صفة السكينة والوقار بلا تعنت ولا استكبار، كما قال: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: 37). فهم يمشون مشية هينة لينة، من غير أشر ولا بطر ولا رياء ولا استعلاء، مشية يحبها الله ورسوله، ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس تواضعا لله ويظهر ذلك جليا من سيرته صلى الله عليه وسلم عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: **كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى: العَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لاَ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ "**[2].

يقول ابن بطال في شرح الحديث: إن النبي بيّن مكان الدنيا عند الله من الهوان والضعة، فنبه بذلك أمته صلى الله عليه وسلم على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا، وأن ما كان عند الله في منزلة الضعة، فحق على كل ذي عقل الزهد فيه وقلة المنافسة في طلبه، وترك الترفع والغبطة بنيله لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل[3].

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم **أنه كان أحسن الناس خلقا، قَالَ أَنَسٌ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا" ، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ:**

---

[1]- ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (68/19).

[2]- البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، حديث رقم 6501 (105/8).

[3] - ابن بطال : **شرح صحيح البخاري** (212/10) بتصرف.

فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ[1].

يقول القاري:" ويحمل قوله لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في: والله لا أذهب وأمثاله على أنه كان صبيا غير مكلف قَالَ الْجَزَرِيُّ: ولذا ما أدبه بل داعبه، وأخذ بقفاه وهو يضحك رفقا به"[2].

هذا هو خلق رسول الله وهذا تواضعه مع أصحابه، فكان خير معلم صلى الله عليه وسلم.

ومن تواضعه أيضا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"**[3] .قوله: (فإنما أنا عبده) إلى آخره من هضمه نفسه وإظهاره التواضع[4].

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قربه من الناس[5] . عَنْ أَنَسٍ، **أَنَّ امْرَأَةً**[6] **كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: "يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ" فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا**[7] .

والحديث واضح في سعة حلمه وتواضعه صلى الله عليه وسلم وصبره على قضاء حوائج الصغير والكبير وحث النبي صلى الله عليه وسلم على التواضع لما فيه من الخير والرفعة ، **عَنْ**

---

[1] - مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، حديث رقم 2310 (1805/4).

[2] -القاري : **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** (3710/9).

[3] - البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم ، حديث رقم 3445(167/4).

[4] - العيني: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (37/16).

[5] -انظر: النووي : **شرح صحيح مسلم** (82/14).

[6] - لم أقف على اسمها.

[7] - مسلم: **صحيح مسلم** ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السلام من الناس ، حديث رقم 2326 (18123/4).

أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ"[1].

قال النووي: فيه وجهان: أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجّل مكانه. والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا[2].

هذا هو خلق رسول الله ، وقد أثنى الله على نبيه في كتابه قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:4) ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فمن تواضع لله رفعه ولا يزيد التواضع المؤمن إلا عزة ورفعة، ولنا أن نسأل بعد ذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم، أين نحن من رسول الله؟

وكم نحن بحاجة في عصرنا هذا أن نحتذي برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن نرقى بأخلاقنا ولن نتواضع لبعضنا، ما لم نقتد برسولنا الكريم، والله يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب:21).

إن التواضع أعظم دواء لداء الكبر، والتواضع من صفات عباد الله؛ الذين استخلصهم الله لنفسه، وجعل بينهم وبين الشيطان حاجزا فلا يصل إليهم بإذن الله ، قال تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الإسراء:65) وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان:63)، عباد صفتهم التواضع، هذه الصفة جعلتهم من عباد الرحمن، ويا لها من مَكرمة خصهم الله بها، هؤلاء الذين استجابوا لأوامر الله وجعلوا لهم القرآن منهجا وطريقا، بخلاف من أخذتهم العزة بالإثم استكبارا وعُلوا في الأرض، قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الإسراء:94). فهؤلاء من كبرهم جادلوا، تذرعوا بعدم إيمانهم؛ أن قد بعث الله إليهم بشرا رسولا، وما الذي منعهم من الإيمان؟ الكبر والعياذ بالله.

---

[1] - مسلم : **صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع ، حديث رقم 2588 (2001/4).

[2] - النووي **: شرح صحيح مسلم** (142/16).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد والشكر إذ منّ علي وأعانني على إتمام هذه الدراسة عسى الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إن الدراسات القرآنية عظيمة في جوهرها، وهي بحاجة إلى بذل الجهد، والإخلاص في القول والعمل، والصبر، والمصابرة، والمثابرة، والتفرغ لما لهذا الكتاب من شأن عظيم، الذي لا تنقطع توجيهاته ونداءاته التربوية.

كم كانت تغمرني البهجة والسرور وأنا أعيش في رحاب القرآن وأسراره، وتدبر آياته، وعظم توجيهاته.

من أهم النتائج ما يلي:

1. إن توجيهات سورة الإسراء تسعى لبناء الإنسان والمجتمع الصالح في كل زمان ومكان، وهي عظيمة بتوجيهاتها وخاصة في الجانب التربوي.

2. إن المضامين الاجتماعية في سورة الإسراء وحدها، كافية لإصلاح حال المجتمعات ، وكفيلة على بعث الأمن والأمان في سائر حياتهم.

3. لقد وقفت السورة أمام الآفات التي من شأنها أن تعصف بالمجتمعات، وتثير القلق والاضطراب والفساد فكانت الحصن المنيع لهذه الآفات.

4. لقد حفظت سورة الإسراء كرامة الوالدين، وعظّمت من شأنهما ، وبيّنت الحكمة من برهما ، والتحذير من عقوقهما وما يترتب عليه من الآثار في الدنيا والآخرة، وأن برهما من أعظم الواجبات.

5. لقد بينت لسورة أهمية القرابة وما لها من أثر في صلاح المجتمع، حيث إنها تقوي أواصره ومن يصل رحمه يكون ممن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في عمره، ويُبارك له في ذلك.

6. حذرت السورة من قطع الارحام، فقطع الأرحام من الإفساد في الأرض.

7.إن القتل من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب وأشد الآثام بل هو أغلظها جميعا بعد الإشراك بالله.

8.نهت السورة عن القتل خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، جهلا منهم أن الاولاد سبب للفقر، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله.

9. أمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح لليتامى، ونهى عن قربان أموالهم إلا بالتي هم أحسن.

10.الحث على الوفاء بالكيل والميزان، وإعلان الحرب من الله على المطففين.

11.إن المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب، وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه، بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه، فيدرك الباطل حقا والحق باطلا، والمعروف منكرا والمنكر معروفا، فينتكس في سيره ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة، إلى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا، واطمأنت بها، وغفلت عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقائه.

12.إن الإسراف والتبذير داء فتاك وآفة من الآفات التي تعصف بالأمم والمجتمعات، وهو هلاك الأموال والثروات.

13.إن البخل صفة ذميمة وهو دليل سوء العقل والتدبير، وفيه هلاك للنفس، وهو دليل على سوء الظن بالله عز وجل في تقسيم أرزاق العباد.

14.إن أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والاستعلاء وهو صفة عدو الله إبليس حيث أبى واستكبر وامتنع من الانقياد لأمر ربه، الكبر سببٌ للفرقة والاختلاف والكراهية والبغضاء بين الناس لأن مصدره الشيطان الذي يسعى لإيقاع البغضاء بين الناس.

15.التواضع هو من الصفات المهمة التي حث عليها القرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم و يجب أن يتحلى بها كل مؤمن؛ لأن التواضع هو صفة المؤمنين الذين امتدحهم الله في كتابه العزيز .

16. نبّهت سورة الإسراء إلى أهمية العهد وما له من علاقة وثيقة بالإيمان، المترتب على العلاقة مع الله.

التوصيات:

1.وجوب تزكية النفس، وتطهيرها من الشوائب وتخليصها من الآفات، للنهوض بمجتمع آمن.

2.توظيف ونشر هذه المضامين الاجتماعية التي وردت في سورة الإسراء، بإبرازها، وتعليمها والتعامل مع الناس وفقها.

3.ضرورة تطبيق المضامين الاجتماعية المستنبطة من سورة الإسراء في مجتمعاتنا لننعم بحياة آمنة، بعيدة عن القلق والخوف والفساد والفاحشة .

4.تربية المجتمع المسلم بكل فئاته، من خلال مضامين سورة الإسراء، والسنة المطهرة، حتى نعمر الأرض بالإيمان، وننعم بالأمن والأمان.

5.ضرورة غرس هذه المضامين الاجتماعية، في سلوك أبنائنا، للنهوض بجيل جديد حتى ننعم بمجتمع آمن.

6.توعية المجتمع المسلم بأن مهمته التربوية أمانة في عنقه، ويجب عليه أن يأخذ دوره في تطبيق المضامين الاجتماعية التي وردت في سورة الإسراء.

7.حث الأسرة على أخذ الدور الأساس في تربية أبنائها تربية اسلامية، وغرس هذه القيم فيهم منذ الطفولة حتى ينشؤوا على أُسس قويمة متينة لا يشوبها خلل، وتعليم الأولاد دوام مراقبة الله لهم ، وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

8.الحث على نشر هذه المضامين، والترويج لها تربويا وإعلاميا، واستنفاذ كل الوسائل المتاحة لنشرها.

9.على العلماء دعوة الناس إلى تطبيق هذه المضامين الاجتماعية، والحث عليها وما يترب عليه من آثار في الدنيا والآخرة ، وتحذيرهم من التهاون بها.

أخيرا.. أسال الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيننا على العمل بكتابه وسنة نبيه إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

فهرست الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
	البقرة	
87	{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ}	142
179	{ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب}	76
220	{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ}	130
	النساء	
10	{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا	126
36	{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا }	32
92	{وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ}	82
176	{وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}	78
	المائدة	
30	{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ}	73
	الانعام	
141	{إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}	88

152	{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}	126
الأعراف		
34	{فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}	57 58
85	{فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ}	75
التوبة		
30	{وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ}	14
60	{إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ}	61
103	{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}	105
119	{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}	50 92
هود		
84	{ولا تنقصوا المكيال والميزان}	132
يوسف		
83	:{ وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ}	79
الرعد		
28	{إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ،الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ .....}	116
39	{يمحو الله ما يشاء ويثبت}	58

الحجر		
88	واخفـــــض جناحك للمؤمنـــين}	41 141
98	{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}	26
النحل		
120	{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ من ا}	24
124	{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ}	22
126	{ وَإِنعَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ..... }	25
127	{وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}	23 25
128	:{إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}	24
الآسراء		
1	{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}	14 17 23 24 25 26 70
4	{وَقَضَيْنَآ إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكتاب .....}	13 14 22
7	{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ }	116
9	{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم }	17 20 21 24 99 108

12	{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ، فَمَحَوْنا	56
17	{ وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، وَكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً}	25
18	{ من كان يريد العاجلة عجلنا له }	106
21	{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}	28
23	{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه }	1 23 32 37 43 46 53 55 64 74 129
24	{ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ....}	31 30
26	{وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا }	55 57 59 62 64 65 67 89 93 94 96 101 105 118
27	{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ }	62 88 89 96 107

28	:{ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا}	56
29	{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ .....}	99 94 95 97 100 101 103
31	{ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ....}	66 80 83 114
32	{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}	111- 107 123- 120 128
33	:{ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .....}	72 75 76 82
34	{وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ}	127- 124
35	:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ...	35 131 133
36	{إن السمع والبصر والفؤاد .....}	123 128

37	{ولا تمش في الأرض مرحا .....}	136 137 142 144 145 146
38	{كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها }	9
39	{ ولا تجعل مع الله إلها آخر}	120+119
41	{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا }	49 140
46	:{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي }	140
51	{ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ}	138
56	{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا}	92
66	{ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً}	98
70	{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدم الإسراء	19 24 70 76
73	{ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ }	11
74	{ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ}	11

76	.{ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ..... }	11 22 141
80	{ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ .....}	11
82	{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}	19 52 82
83	{وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً}	78 79
85	{وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}	23
88	{ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـــذَا الْقُرْآنِ	19
89	{ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ}	49 53 139
94	{ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا}	137 138 148
97	:{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}	117
100	{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}	104
104	{فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا}	26 27

107	{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ	12
110	{ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}	115 116
111	{ وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ	20 27
الكهف		
1	{لْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً}	26 27
46	{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}	78 93
79	:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لّا تَعْبُدُوا الشّيْطَانَ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}	61
98	{فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}	27
100	{وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً}	27
الأنبياء		
36	{وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ	139
النور		

30	{ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ }	112
31	:{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ}	120
33	{ وَلْيَسْتَـــــــــــــعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا	123
الفرقان		
63	:{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}	145 148
67	{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}	93
68	{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ}	82
القصص		
77	{وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ .....}	81
العنكبوت		
8	{ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}	43
الروم		

30	:{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}	101 100
لقمان		
7	{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا .....}	141
14	{أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير}	43
15	{ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ }	45
الأحزاب		
21	{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}	148
32	{ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا}	120 121
33	{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى}	110 119
يس		
47	{وإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...}	65
60	:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}	134
غافر		

28	:{إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}	90
56	:{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ....}	140
	محمد	
22	{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}	50 47
	الذاريات	
56	{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}	72 74
	الواقعة	
45- 41	:{وَأَصْحابُ الشِّمالِ مَا أَصْحابُ الشِّمالِ ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ،لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ،إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ}	89
	الحشر	
8	:{ لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِم}	61
	القلم	
4	{وإنك لعلى خلق عظيم}	148
	المطففين	
3- 1	{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ،الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .	134

الليل		
10- 5	مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فسنيسره لليسرى،	73
11	{وما يغني عنه ماله إذا تردى}	102

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ	مسلم	1
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ	البخاري	15
لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا	مسلم	37
.... رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ	مسلم	37
أي العمل أحب إلى الله	البخاري / مسلم	42
فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ	البخاري/مسلم	44
مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي	البخاري/مسلم	45
أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ	البخاري	47
مَن ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ	البخاري	47
لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ	البخاري	48
مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ	مسلم	49
لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا	مسلم	49
مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ	مسلم	51
لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ	البخاري	51
: ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ	النسائي	52

إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ	البخاري/ مسلم	53
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ	البخاري	57
اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له	البخاري	59
فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:	البخاري/ مسلم	59
تعبد الله لا تشرك به شيئا	البخاري/ مسلم	59
لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ	البخاري / مسلم	60
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ	مسلم	60
لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ	البخاري / مسلم	65
الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ	البخاري / مسلم	66 67
إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ	البخاري	66 118
الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ	مسلم	73 47
حق الله على العباد	البخاري	72
لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ	البخاري	73
أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ	البخاري/ مسلم	78
أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟	البخاري	81
لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا	البخاري	77
مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ	البخاري / مسلم	50 91
إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا	البخاري / مسلم	93

"لئن يأخذ أحدكم حبله	البخاري	98
اليد العليا خير من اليد السفلى	البخاري/ مسلم	98
اللهم إنِّي أعوذُ بك من الهَمِّ والحَزَنِ	البخاري/ مسلم	102
لا يأتي ابن آدم النّذْرُ	مسلم	102
لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ	البخاري	109
قَالَ: "الحَمْوُ المَوْتُ	مسلم	122
فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ	البخاري / مسلم	145
قَدْ بَايَعْتُكُنَّ" كَلاَمًا	البخاري	123
أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ	البخاري	125
آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ	البخاري / مسلم	130
ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ	البخاري	130
إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا	البخاري	146
كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا	مسلم	146
لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى	مسلم	147
يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً	مسلم	147
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ	مسلم	148

فهرس الاعلام

الاسم	الصفحة
أبو بكرة	35
الجنيد	143
الفضيل بن عياض	39
القفال	40
قتادة بن دعامة السدوسي	11
مقاتل	11
أبو يزيد ا لبسطامي	143

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ت 606هـ: **النهاية في غريب الحديث والأثر.** تحقيق طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطناحي. بيروت : المكتبة العلمية. (1399هـ - 1979م).

الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي،أبو منصور ت 370هـ: **تهذيب اللغة.** 8مج. تحقيق محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (2001م).

الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ت: 502هـ: **تفسير الراغب الأصفهاني.** 2مج. تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني.ط1. _كلية الآداب - جامعة طنطا. (1420 هـ - 1999 م).

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ت1270هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع.** 16مج. تحقيق علي عبد الباري. ط1. بيروت: دارالكتب العلمية. (141 هـ).

الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي ت 631هـ: **الإحكام في أصول الأحكام.** 8مج. تحقيق عبد الرزاق عفيفي. بيروت - دمشق: " لبنان" المكتب الإسلامي. د.ط.

الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر ت 328هـ: **الزاهر في معاني كلمات الناس.** 2مج. تحقيق د.حاتم صالح الضامن. ط1. بيروت:مؤسسة الرسالة. (1412هـ - 1992م).

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله ت: 1420هـ: **فتاوى نور على الدرب.** 14مج. جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر. قدم لها :عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ. د.ط.

: **مجموع فتاوى.** 30مج. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: **صحيح البخاري.** 9مج. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة. مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا. (1422هـــ).

: **الأدب المفرد.** تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.ط4. دار الصديق للنشر والتوزيع. (1418 هـ - 1997 م).

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ت: 449هـ: **شرح صحيح البخاري.** 10مج. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد السعودية. (1423هـ - 2003م).

البغوي،أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي ت : 510هـ: **معالم التنزيل.** 5مج. تحقيق عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1420هـ).

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر ت885هـــــ: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** 22مج. تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـــــ).

: **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور.** 3مج. تحقيق د.عبد السميع محمد أحمد حسن. ط1. الرياض: مكتبة المعارف. (1408هـ).

البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت: 685هـ: **أنوار التنزيل.** تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1418ه).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق: 427هـ: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن.** 10مج. تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور.ط1. تدقيق الأستاذ نظير الساعدي. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي. (1422هـ).

الجرجاني، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي ت: **التعريفات.** ضبطه وصححه جماعة من العلماء. بإشراف الناشر. ط1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (1403هـ).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد 597تهـ: **كشف المشكل من حديث الصحيحين.** 4مج. تحقيق علي حسين البواب الرياض: دار الوطن. د.ط.

: **البر والصلة.** تحقيق عادل عبد الموجود،علي معوض. ط1. بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية. لبنان. (1413هـ).

: **زاد المسير في علم التفسير.** ط3. المكتب الاسلامي. (1403هـ).

: **بر الوالدين.** د.ط.

الجصاص،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي ت: 370هـ: **أحكام القرآن.** تحقيق محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ط1905هـ).

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** 13مج. بيروت :دار المعرفة. 1379 ، رقم وكتبه وأبوابه :محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب. عليه تعليقات العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

:**تهذيب التهذيب.** 12مج. ط1. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية . (1326هـ).

ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي ت: 745هـ: **البحر المحيط في التفسير.** تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. د.ط. (1420 هـ).

الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك النجدي ت: 1376هـ: **تطريز رياض الصالحين.** تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد. ط1. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع. (1423هـ).

الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد، **عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج** الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، د.ط.

الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الحنفي ت: 1156هـ: **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية.** 4مج. مطبعة الحلبي. د.ط. (1348هـ).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسنت: 741هـ: **لباب التأويل في معاني التنزيل.** تحقيق وتصحيح محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـــــــ).

الخطيب، عبد الكريم يونس ت بعد 1390هـــــــــــــ: **التفسير القرآني للقرآن.** القاهرة: دار الفكر العربي. د.ط.

الخياط ، د. عبد العزيز: **المجتمع المتكافل في الاسلام.** بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ط. (1981م).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ت 681هـ: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. 7مج.** تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت: 321هـ. **جمهرة اللغة**. 3مج، ت رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين بيروت، ط1.(1987م)

دروزة ، محمد عزت: **التفسير الحديث**. القاهرة : دار إحياء الكتب العربية. د.ط. (ط1383هـ).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت 748هـ: **سير أعلام النبلاء**. 18مج. د.ط. القاهرة: دار الحديث. (1427هـ -2006م).

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب خطيب الري ت 606هـ: **مفاتيح الغيب**. ط3. بيروت: دار إحياء التراث. (1420 هـ).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت 666هـ: **مختار الصحاح**. تحقيق يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية. (1420هـ - 1999م).

الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت 502هـ: **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق. بيروت. (1412 هـ).

رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين ت 1354هـ: **تفسير المنار**. 12مج. الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1990م).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية. د.ط.

الزّجاج ،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق ت 311هـ: **معاني القرآن وإعرابه**. 5مج. ط1. بيروت: عالم الكتب. (1408 هـ - 1988 م).

الزّحيليّ، وهبة: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. 30مج. ط2. بيروت ، دمشق. دار الفكر المعاصر. (1418هـ) .

: **التفسير الوسيط**. 3مج. ط1. دمشق: دار الفكر. (1422هـ).

الزرقاني، محمد عبد العظيم ت 1367هـ: **مناهل العرفان في علوم القرآن**. 2مج. ط3. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي ت 1396هـ: **الأعلام**. ط15. دار العلم للملايين. (2002 م).

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله ت 538هـ: **الكشاف**. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. (1407 هـ).

الزين، محمد البسام، وسالم،محمد عدنان: **المعجم المفهرس لمعاني القرآن**. 2مج. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر. وسوريا: دار الفكر المعاصر. (1416هـ -1995م).

السدحان ، عبد العزيز بن محمد بن عبد الله: **معالم في بر الوالدين**. تقديم عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء. السعودية. د.ط.

السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت 1376هـ: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1.مؤسسة الرسالة.(1420هـ 2000 م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، البغدادي ت 230هـ: **الطبقات الكبرى**.8مج.تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1410 هـ).

السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي ت 1188هـ: **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب. 2مج. ط2.** مصر: مؤسسة قرطبة. (1414 هـ - 1993م).

أبو السعود ، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت 982هـ: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ط.

السلمان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان ت 1422هـ: **موارد الظمآن لدروس الزمان.** 6مج. ط30. (1424 هـ)

السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيمت 373هـ: **تنبيه الغافلين**. تحقيق يوسف علي بديوي. ط3. دمشق،بيروت: دار ابن كثير.(1421 هـ - 2000م).

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت 911هـ: **أسرار ترتيب القرآن**. دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ت 204هـ: **الأم**. 8مج. بيروت: دار المعرفة. د.ط. (1410ه -1990م.

شحاته،عبد الله محمود: **أهداف كل صورة ومقاصدها في القرآن.** القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. د.ط. (1979 1984).

الشعراوي ، محمد متولي ت1418هـ: **تفسير الشعرواي**. 20مج. مطابع أخبار اليوم ،د.ط.(1997م).

شلتوت، محمود: **الوصايا العشر.** ط5. دار الشروق. (1404 هـ - 1984م).

الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني ت 1250هـ: **نيل الأوطار**. 8مج. تحقيق عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث. (1413هـ 1993م).

_____**: فتح القدير**. ط1. بيروت: دمشق ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب .(1414 هـ).

الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار ت 1393ه: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت لبنان ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع (1415 هـ)

الصالح ، محمد بن أحمد: **التكافل الإجتماعي في الشريعة الإسلامية**. ط2. (1413هـــ).

صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر ت 764هـ: **فوات الوفيات**. 4مج. ط1. تحقيق إحسان عباس.بيروت: دار صادر.

الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر ت 310هـ: **جامع البيان في تأويل القرآن**. 24مج. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط1. مؤسسة الرسالة. (14201هـــ - 2000م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ت 1393هـ: **التحرير والتنوير**. 30مج. تونس: الدار التونسية للنشر. د.ط. (1984 هـ).

عاشور، أحمد عيسى: **بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام**. القاهرة: مكتبة القرآن. د.ط.

العاني، عبد القادر بن ملّا حويش آل غازي ت 1398هـ، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي - دمشق ط1 1382 هـ .

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي ت 463هـــــ: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. 4مج. تحقيق علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. (1412 هـ - 1992 م).

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد ت: 1421هـ: **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**. 26مج. جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. ط3. دار الوطن - دار الثريا. (1413 هـ).

ـــــــــــــــــ : **شرح رياض الصالحين**. 6مج. الرياض: دار الوطن للنشر. د.ط. (1426هـ).

العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ت نحو 395هـ: **الفروق اللغوية**. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة بيروت: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي ت 542هـ: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية (1422 هـ).

العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، ت1329هـ: **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته**. 14مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية .(1415 هـ).

علوان ، د.عبد الله ناصح : **التكافل الإجتماعي في الإسلام**. دار الإسلام. د.ط

عليش ، محمد بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله المالكي ت 1299هـ: **منح الجليل شرح مختصر خليل**. بيروت: دار الفكر. .د.ط

عودة، عبد القادر: **التشريع الجنائي مقارنا بالقانون الوضعي**: 2مج. ط14. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1997م).

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين ت 855هـ: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. 25مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت 505هـ: **إحياء علوم الدين**. 4مج. بيروت: دار المعرفة. د.ط.

ابن غيهب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن محمد ت 1429هـ: **حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ**. ط11. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع. (1426 هـ - 2005 م).

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ت 393هـ: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. 6مج. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. (1407 هـ - 1987 م).

ابن فارس ، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت 395هـ: **مجمل اللغة**. 2مج. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1406 هـ - 1986م).

: **معجم مقاييس اللغة**. 6مج. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الفكر (1399هـ-1979م).

البغدادي أبو الفرج، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ت337هـ: **جواهر الألفاظ**. تحقيق محمد محيي الدين. ط1. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية. (1405هـ-1985م).

الفيروز آبادي / مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوبت817: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. 6مج. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة. لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الحموي، أبو العباس ت نحو 770هـ: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. 2مج. بيروت : المكتبة العلمية.

القاري، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي ت1014هـ: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. 9مج. ط1. بيروت: لبنان. دار الفكر. (1422هـ-2002م).

ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن الدينوري ت: 276هـ: **غريب الحديث**. 3مج. تحقيق د.عبد الله الجبوري. ط1. بغداد: مطبعة المعاني. (1397هـ).

القرافي ،أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي ت684: **الفروق**. 4مج. عالم الكتب. د.ط.

القشيري،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ت: 465هـ: **الرسالة القشيرية**. 2مج. تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف. القاهرة : دار المعارف. د.ط.

القرضاوي، يوسف: **مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام**. ط11. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1417 هـ - 1997م).

: **الحلال والحرام**. ط16. مكتبة وهبة. (1405هـ-1985م)

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدينت671هـ **الجامع لأحكام القرآن.** 10مج. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة دار الكتب المصرية. (1384هـ).

القطان ، مناع ، **مباحث في علوم القرآن**. ط11. القاهرة : مكتبة وهبة. (1421هـ-2000م).

قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاربي ت 1385هـ: **في ظلال القرآن**. ط17. بيروت: القاهرة : دار الشروق. (1412هـ).

: **دراسات إسلامية**. ط10. دار الشروق. (1422هـ-2002م).

قطب، محمد ، بن إبراهيم : **منهج التربية الإسلامية**. 2مج. ط16. دار الشروق.

القلعجي، القنيبي، محمد رواس و حامد صادق : **معجم لغة الفقهاء**. ط2. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. (1408 هـ - 1988م).

القنوجي، السيد محمد صديق حسن خان ت1307هـ: **حسن الأسوة بما ثبت من رسول الله في النسوة**. تحقيق د.مصطفي سعيد الخن، ومحيي الدين مستو. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1401هـ-1981م)

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدينت: 751هـ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. 2مج. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. (1416 هـ - 1996م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ت 774 هـ : **تفسير القرآن العظيم**. 8مج. تحقيق سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع (1420 هـ - 1999م).

الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي ت: 1094هـ: **الكليات تحقيق** عدنان درويش محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ط.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. 15مج. ط1. بيروت: دار صادر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت450هـ: **النكت والعيون** . 6مج. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية .

: أدب الدنيا والدين. دار مكتبة الحياة. د.ط. (1986م) .

المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام ت: 1414هـ: **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. ط3. بنارس. الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية. (1404 هـ، 1984 م).

مدكور، على أحمد : **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**. دار الفكر العربي. د.ط. (1421هـ - 2001م).

إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار : **المعجم الوسيط**. ت مجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة. د.ط.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: 261هـ: **المسند الصحيح المختصر**. 5مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ط.

المغامري، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق: **جواهر البيان في تناسب سور القرآن.** مكتبة القاهرة د.ط.

المراغي، أحمد بن مصطفى ت 1371هـــ: **تفسير المراغي.** 30مج. ط1. مكتبة مصطفى البابى. (1365 هـ - 1946 م).

المكي ، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب ت 386هـ**: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**. 2مج. ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي. ط2. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان(1426 هـ -2005 م). (392/1).

المناوي، زين الدين محمد بن زين العابدين الحدادي ت 1031هـ: **التوقيف على مهمات التعاريف**. ط1. القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت. (1410هـ-1990م).

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ت 303هـ: **السنن الصغرى.** تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية . (1406هـ 1986م).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ت: 710هـ: **تفسير النسفي. 3مج.** تحقيق يوسف علي بديوي. ط1. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. بيروت: دار الكلم الطيب. (1419 هـ - 1998 م).

- النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ت775هـ: **اللباب في علوم الكتاب**.20مج. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية،(1419 ه)

: **تهذيب الأسماء و اللغات**. 4مج. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. بيروت:دار الكتب العلمية، لبنان.(281/2).

:**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. 18مج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1392هـ).

: **الزواجر عن اقتراف الكبائر**. 2مج. ويليه: 1- كف الرعاع عن محرمات اللهو و السماع. 2 ؛الاعلام بقواطع الاسلام. بيروت: دار المعرفة د.ت. د.ط.

الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري، الشافعي ت 468هـ: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم -الدار الشامية. (1415هـ).

: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**. 4مج. ط1. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي. بيروت: دار الكتب العلمية. لبنان. (1415 هـ 1994 م).

عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم**. ط4. جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

مراجع انترنت

: http://www.saaid.net/bahoth/29.htm، فضائل سور القرآن الكريم كما حققها العلامة الألباني - رحمه الله.

الآثار المدمرة لسياسات الإفقار صفحة المقالات، www.islamway.com. ياسين بن طه بن سعيد الشرجبي

كتاب: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ،المجموعة الرابعة .،فصل: إذا تاب من عقوق والديه بعد وفاتهما. www.al-eman.com

An - Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The social contents in Surat Al-Asraa'

By

Lotfi Abed Al-Rahman Mostafa Mahajni

Supervisor

Dr. Hussien Abed Al-Hameed Al-Naqeeb

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University , Nablus - Palestine .

2012

The social contents in Surat Al-Asraa'

By
Lotfi Abed Al-Rahman Mostafa Mahajni
Supervisor
Dr. Hussien Abed Al-Hameed Al-Naqeeb

Abstract

According to Islam, the Quran is the word of God, and its purpose is to purify the prophet Mohammad and each unique generation of Muslims from sin, to save and to bring these generations out of darkness into the light. Some of the most important subjects that the Quran examines are the social and educational issues that appear in several of the 114 different s*urahs* (divisions) of the Quran. *Surah al-Isra* (the Night Journey) delineates and emphasizes the foundations, principles, and concepts that each Muslim should master because of the important and beneficial roles they play in the private and public life of the Muslim individual. The purpose of this research study, "Social Themes in the *Surah Al- Isra,"* is to explore and address all the divine social and educational themes this *surah* demonstrates in a precise and coherent way. The content of this *surah* undoubtedly has a direct connection with our current reality, as it addresses the issues of corruption and how to enable the Islamic nation to live in peace and safety. Muslim behavior is dictated by the Quran and *Sunnah* (the practice of the prophet Mohammad, the exemplar of this behavior).

This research thesis consists of four chapters. In the first, introductory chapter, I outline the structure of *Surat Al-Isra*, noting it characteristics, subjects, and connections with the previous and following *surahs*. The following three chapters focus on the social issues illustrated in *Surat Al-Isra*. These issues are divided into three correlated and linked groups. In the second chapter, I discuss the social issue of relatives and needy people. Through analytical and explanatory approaches, I attempt to show the

rights of relatives vis-à-vis other family members, especially the rights of fathers concerning their children, the rights of beggars to receive help from their society, and the effect of these issues on the strength, unity, and solidarity of Islamic society. The third chapter discusses the social issues of the individual, such as the right to live peacefully. I emphasize how God honors human life by prohibiting murder, including the Quranic emphasis on the prohibition of the pre-Islamic practice of killing children from fear of poverty. I have tried to connect the issues in *Surat Al-Isra* with our current reality, showing the solutions the Quran provides. Finally, in the fourth chapter, the most important chapter in this study, I discuss the social ills that that threaten the stability of Islamic society. In this chapter I investigate the seven evils mentioned in *Surat Al-Isra*: extravagance, wastefulness, meanness, adultery, robbing an orphan, betrayal, and dishonest weights and measures (when selling or buying). I survey and review the interpretations and approaches of different religious scholars concerning these evils, and examine their connections to our world today, emphasizing the solutions provided for them in *Surat Al-Isra.*

My research methodology in this study is to survey the content of *Surat Al-Isra,* using inductive analytical and critical methodology. The findings of this research show that, first, the instructions provided in *Surat Al-Isra* aim to build a useful individual in Islamic society in any time or place. Second, the social themes of *Surat Al-Isra* are sufficient to reform and repair the corruption of society, and ensure peace and safety in Islamic society. Third, disobedience and sin blind the insight of the heart, preventing human beings from realizing the truth. They weaken human strength and determination, leaving us to fall into evil and corruption, which in turns threatens the stability of society. Fourth, the basis of disrepute ethics is arrogance and superiority, the

characteristics of Satan, who refused to obey God's commands. Finally, the most important issue that Islamic societies must be concern with is how to implement the ways that *Surat Al-Isra* indicates in order to avoid falling into evil and corruption.

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.